اربع محاضرات

الباشا

دير المخلص (الجهة الشمالية الغربية)

٢٠٨٤ خ ش
282 B118mA

محاضرة

في تاريخ مدرسة الرهبانية الباسيلية المخلصية

القاها الخوري قسطنطين الباشا ب م

في نادي المدرسة في ٢٣ نيسان سنة ١٩٢٧

ايها الآباء الاجلاء والاخوة الاعزآء

اقترح علي حضرة الاب الفاضل رئيس هذه المدرسة العامرة ان اقول كلمة في تاريخها فنزلت عند ارادتهِ وامره حباً وكرامة. واخذت ابحث في دفاتري واوراقي القديمة واراجعها درساً وبحثاً حتى تيسر لي جمع بعض المعلومات المفيدة بهذا الشأن — كما سألقيها بحضرتكم الآن — منها ومما اعلمهُ نقلاً عن شيوخ رهباننا احيآء حياهم الله، واموات رحمهم الله ومما اعرفهُ بذاتي من امرهـا من نحو اربعين سنة، وانا ارى واسمع واتعلم فيهـا. وهي بفضل امنا الرهبانية مرضعة نفوسنا جميعاً كل علم وادب.

والله يعلم ما في هذا العمل من المشقة اذ ليس هذا الموضوع مجموعاً في كتاب مطبوع او مخطوط او في عدة تصانيف وقد صارت المسافة بيننا في هذا السبيل بعيدة. ولم نجد من نهج لنا السبيل اليهِ من قبل. فقد يضل الساري ولا يبلغ غايتهُ اذا لم يكن له من الله هادياً ومن الشوق والرغبة داعياً فالله حسبنا وهو نعم الوكيل وخير شاهد على حبنا لهذه المدرسة وعلى

38621

رغبتنا برفع شأنها وازدياد عمرانها .

قلت كلمة لا كلاماً لاني اعلم أني لا اقدر في خطابي الآن ان أستوفي بيان هذا الموضوع الجليل القدر الواسع الاطراف اذ يقتضي ان يتناول تاريخ بنيان هذه المدرسة من اصلها الى تجديد بنائها الحالي مع اختلاف اطوارها واحوالها تبعاً لاحوال الرهبانية التي منها تستمد كل حياتها ، مع ذكر مشاهير معلميها وتلاميذها والاشادة بذكر الرؤساء العامين الذين عملوا على تشييد اركانها وتوسيع جدرانها ورؤسائها الخصوصيين الذين بذلوا الهمة لرفع شأنها وتهذيب شبانها حتى نبغ منهم رجال اجلاء بلغ بعضهم اعلى درجة من الفضل والسيادة في الكنيسة والطائفة في مدة نحو مائة سنة مما كادت تطمسه الايام وتمحوه ولا يعيه منا الا القليل وهو بالحقيقة خلاصة تاريخ الرهبانية بأفضل رجالها وأجمل عصورها ولهذا السبب أرى نفسي مضطرا ان اجعل خطابي بكلام اجمالي بغاية الايجاز وادع الاسهاب والتفصيل الى وقت آخر ان شاء الله تعالى . وساقصر كلامي الآن على العلم والتعليم في الدير وعلى المدرسة القديمة الى سنة ١٨٦٠ .

***

قبل ان نأتي على تاريخ المدرسة يجب علينا ان نبين حالة العلم والتعليم في الرهبانية قبل انشاء هذه المدرسة لئلا يظن التلاميذ الصغار وسواهم ان العلم محصور في المدرسة ومحبوس عليهم ضمن جدرانها .

لا لا اذ يجب ان يعلم من لا يعلم ان رهبانيتنا مرسلة للتعليم وخدمة الكهنوت فالعلم والتعليم من اهم شؤونها لبلوغ غايتها بالوعظ

الخوري قسطنطين الباشا ب ـ م

وتعليم الشعب امور الدين وخدمة الكهنوت . فان كان العلم قد زالت معالمهُ من الشرق من حين الاستيلاء عليه فقد كان له دائماً في صوامع الاديار أعلام ولاسيما مذ قام دير المخلص في اول القرن الثامن عشر وقام فيه رجال درس وعلم كان منهم علماء العصر من الخطباء والواعظين والكتّاب والبطاركة والمطارنة والاطبّاء المشهورين .

فقد كان فيه دائماً مدرسة عامة لجميع الرهبان بقيت عاملة وجارية على اصلها القديم الى آخر ايام المرحوم الارشيمندريت جبرائيل نبعة في رئاسته العامة حيث زالت واضمحلت من ذاتها لعدم الحاجة اليها لسبب ان جميع الرهبان صاروا يدخلون هذه المدرسة الكبيرة ويتعلمون فيها ما يتيسر لهم بدون استثناء احد .

ربما يقول لي بعضهم : ان هذه المدرسة كانت لدرس علم الذمة فقط .

نعم كانت في آخر عهدها كما نعلم لدرس اللاهوت الادبي لكن كانت في بعض الاحيان وبعض الاحوال يدرس فيها مع علم الذمة بعض العلوم حسب مقتضى احوال الزمان والرهبان .

وعدا هذه المدرسة العامة او العمومية كان في هذا الدير مدارس خصوصية نبغ فيها رجال مشهورون بالعلم والفضل مثل البطريرك اثناسيوس جوهر الذي أخذ العلم فيه عن خاله البطريرك كيرلس طاناس وكذلك البطريرك اغابيوس مطر وباسيليوس عطا الله مطران صور الذي تخرج على يد خاله العجيمي في هذا الدير . ومن الرؤساء العامين الخوري مخائيل عراج طبيب المشايخ المشهور بحسن الادارة والاديار التي أنشأها وكذلك الخوري اسطفان نعمة المشهور بمواعظه النفيسة اكثر من شهرته بانشاء دير عين الجوزة . ولا يسعني الوقت ان اذكر امثالهم كثيرين

لكن لاينبغي ان نهمل ذكر القس انطون بولاد تلميذ القس سمعان الصباغ وتلميذ فيلسوف زمانه القس سابا كاتب ويجب ان نذكر معه من العلمانيين الشاعر المشهور المعلم بطرس كرامة استاذ اولاد الامير بشير الكبير فانه تعلم علم المعاني والبيان والمنطق في دير المخلص على يد القس سابا كاتب ابن وطنه الحمصي كما افادنا عن ذلك رفيقه وزميله القس انطون بولاد واكتفي بهذا القدر من ذكر هؤلاء التلاميذ لئلا يطول بنا كثيرا نفس الكلام . لكن ينبغي ان لا نهمل ذكر القس كيرلس زكار الذي اذ ذهب لخدمة الطائفة وكنيستها في مرسيليا دعي لتعليم اولاد ملك فرنسا كارلس العاشر لكن لم يتيسر له ذلك لسبب الثورة التي قامت على الملك المذكور سنة ١٨٣٠

وهآءنذا اوضح لكم طريقة التعليم القديمة في هذه المدارس الخصوصية التي لسبب عدم وجود مدارس كبيرة عالية في تلك الايام كان المعول عليها في التعليم ونشر المعارف في الشرق بين الرهبان وغيرهم حتى عند المسلمين وهي لا محالة افضل عائدة للطلّاب الافراد ولذلك تضطر المدارس الكبيرة الى العودة اليها في بعض الاحوال بدروس خصوصية (Leçons particulières) .

ان الشاب الذي كان يدخل الدير بقصد الرهبانية فيهِ لخلاص نفسهِ قد يكون أُميًّا لا يحسن القراءة ولا الكتابة وقد تجاوز سن التحصيل فانهُ يقبل حبًّا لخلاص نفسهِ وهو غاية الرهبانية ، ولا يضره في هذا كونهُ يجهل القراءة والكتابة اذ كان يسهل عليه في الدير سماع صلوات الخورس وقراءة الكتب الروحية والارشادات العمومية والخصوصية من اخوانهِ الرهبان معما يشاهده فيهم من المثل الصالح

وله في هذا ما يكفيه ويغنيه عن درس الكتب

وكان يفوض الى مثل هؤلاء الاخوة القيام بالمهن والخدم الديرية من خياطة وحياكة وسكافة وطباخة وخبازة وفلاحة وزراعة نجارة

ولا يسبق الى وهمكم ان هذا الجهل في الرهبان عار او عيب في الافراد توصم به الرهبانية .

لا لا تتوهموا هذا فلا يعاب الانسان بالجهل إلا لكونه يرفض العلم لا لكونه أُميًّا وليس له سبيل لتحصيل العلم وما كان اكثر الاميين في تلك العصور .

وكيفما كان حال تلك الايام من قلة او عدم وجود الوسائل لتحصيل العلم فلا عيب ولا عار على الرهبانية بوجود بعض الاميين فيها ما دام فيها رجال كثيرون ممتازون بالعلم وسعة المعارف والمدارك وهي مثل شبكة أُلقيت في البحر فان فيها سمك من كل جنس

لكن كان غالباً يأتي الى الدير بقصد الرهبانية فيه شبان اتقياء مهذبون بحسن التربية والعلم يعرفون القراءة والكتابة والحساب من اغنياء الطائفة واوساطها وفقرائها وقد يكون البعض منهم مارسوا التجارة او الصناعة في العالم واختبروا ما فيه من حلاوة ومرارة وعرفوا ما فيه من الاخطار ولذلك فروا الى الدير تخلصاً من شروره وقد كان بعضهم من اذكياء العقول وقد يكون بعضهم قد بلغ منزلة عالية من العلم فان سابا كاتب مثلًا كان قبل ان يحضر الى الدير قد تعلم الصرف والنحو والمعاني والبيان والشعر على يد كبار علماء الاسلام وكان كاتباً نحريرا يساعد والده نقولا بتحرير مراسلات وزرآء صيدا وهذه رسائله المطبوعة وسائر مؤلفاته ومعرباته المخطوطة اصدق

شاهد على براعته بالتحرير وحسن انشائه وبيانه وكذلك غريغوريوس يوسف قبل ان ياتي الى الدير كان كاتباً في دوائر الحكومة في الاسكندرية ثم وهو مبتدئ تعين كاتباً تحت يد الاب العام المرحوم الخوري افتيميوس مشاقة وعندي غير رسالة بخط يده حينئذ بامضاء الاب العام المذكور

وكان الراهب بعد ان يكون قد قضى زمان التجربة والابتدآء بالصلوات وقرآءة الكتب الروحية ودرس واجباته الرهبانية والمسيحية ينصرف الى درس علم الذمة في المدرسة الديرية العمومية او ان يلتصق بخدمة احد الابآء العلمآء الذين درسوا في رومية او من أخذ عنهم فيلازمه ويقرأ عليه كتابه الذي يريد ان يتعلمه فيلخص له المعلم مضمونه اويشرح له مشاكله ومسائله تدريجاً ويكون التلميذ قد نقل كتابه من قبل بخط يده لعدم وجود الكتب المطبوعة في تلك الايام فيسهل عليه بذلك فهمهُ ويرسخ في ذهنه مضمونهُ مع شرح معلمهِ متى قرأه عليه وفي طول ملازمته له وتقربهِ اليه تسهل وتكثر محادثته معهُ وسؤاله له عن كلما يخطر في باله من المسائل العلمية وقد يحضر مرات المحاضرات والمحاورات التي تجري عند معلمه مع من يأتون للاستفادة من علمه او يكتبون اليه في مسائل يستفتونهُ فيها فيحررها التلميذ غالباً بقلمهِ او ياخذ صورة عنها وقد يكون التلميذ كاتباً تحت نظر ويد معلمه يحرر له مراسلاته اذا كان حسن الخط .

ولا يخفى عليكم انهُ كان للرهبانية امتياز احسان وإنعام بان ترسل الى رومية اثنين من رهبانها يدرسون في مدرسة انتشار الايمان ويقيمون فيها من اول عهدها الاول فيهم الشماس سيرافيم طاناس

ابن اخت موسس ديرنا افتيميوس الصيفي وهو كما لا يخفى عليكم اول البطاركة من رهباننا المخلصيين ثم أُنعم عليها بان ترسل ايضاً اثنين من رهبانها يدرسون ويقيمون في مدرسة القديس اثناسيوس ولم تنقطع عن ارسال اولادها الى رومية للدرس في مدارسها العالية إلا حينما اضطربت احوال هذه المدينة باستيلاء بونابرت عليها في اول القرن التاسع عشر ولمَّا عاد السلام اليها بعودة الحبر الاعظم عادت الى ارسال رهبانها الى المدرسة الثانية فقط بعدد أوفر .

تقولون ان هذه الطريقة صعبة وفيها نوع من العبودية لما فيها من واجبات الخدمة من التلميذ لمعلمه وقد تكون عقيمة .

أُجيب بان لا صعوبة في هذا على الراغب في العلم ولا تصل هذه الخدمة الى حد العبودية عند الرهبان ولا يخلو من المبالغة القول القديم المشهور «من علمني حرفاً كنت له عبدا» وهي بالحقيقة مبادلة خدمة بين المعلم والتلميذ بل الفضل فيها للمعلم كفضل العلم على سواه ولا يفوتكم ان مهنة التعليم شريفة عند كل الامم حتى عند العرب فان العلم مضاف الى الشرف وملازم له ولهذا السبب كان العلماء بخلاء بالعلم لا يبذلونه لعامة الناس لكن في الرهبانية مع المحبة والرغبة بالتواضع يسهل كل علم وطلب

واذا لم يكن للتلميذ سوى معلم واحد يبذل في سبيل تعليمه كل عنايته يصح فيه قول الانجيل حسب التلميذ ان يكون نظير معلمه لكن قد يكون له غير معلم واحد ويدرس عليهم عدة كتب فينبغ في العلم حتى يفوق معلمه .

***

بعد ان قلنا كلمتنا الاولى في حالة العلم والتعليم في الرهبانية قبل انشآء هذه المدرسة يجب علينا ان نقول الآن كلمتنا الثانية التي تتوقون الى سماعها عن هذه المدرسة وابتدآء التعليم فيها فنقول :

قلنا سابقاً ان رهبانيتنا مرسلة وهي مكلفة بخدمة الطائفة بالكهنوت وهذه الخدمة تقضي عليها بتعليم اولادها الكهنة الذين يطلب الله العلم منهم ذمة وديناً ويطلب هذا ايضا شرف الطائفة الاجتماعي التي نحن منها وغاية اجتماعنا ورهبانيتنا خدمتها الروحية الدينية

وقد كانت رهبانيتنا في اول القرن التاسع عشر اكتسبت بحق العادة القديمة حق خدمة الطائفة الدينية في ابرشية صور وصيدا وعكا وبانياس والبقاع من اول عهدها بحياة مؤسسها المطران افتيميوس الصيفي الذي كانت هذه البلاد كلها داخلة حينئذ في ابرشيته حتى انه عندما توفاه الله سنة ١٧٢٣ كان كل النصارى فيها بالاجمال مجاهرين بالايمان الكاثوليكي وينتمون الى دير المخلص ويعدون ذواتهم تلاميذه « مخلصية » وكذلك كان جميع الروم الكاثوليك الذين في البطريركية الانطاكية من اهل دمشق وما يتبعها من بلاد حوران وجبل القلمون ينتمون الى دير المخلص من اول انشآئه ومنهم مؤسسه وباكورة رهبانه كما كان كذلك ينتمي الى دير مار يوحنا الشوير اهل حلب وبيروت وكسروان ولهذا السبب كان اكثر شبّان الطائفة من الشام ويافا وحيفا وعكا وصور وصيدا وجنوب لبنان والبقاع وبلاد صفد وبلاد مصر وغيرها يأتون الى دير المخلص ليترهبوا فيه ومنه يطلبون كهنة لخدمتهم الروحية .

ولسبب الاضطهاد الذي كان مستمرا في دمشق وسواها من قبل بطاركة اليونان المشاقين على طائفتنا وكهنتها تعذر قيام كهنة كاثوليك فيها من اهلها وكذلك تعذر على بطاركتنا القيام فيها فكانوا يقيمون في دير المخلص ويرسلون من رهبانه كهنة الى رعيتهم يهتمون بخدمة نفوسهم متنكرين بزي العلمانين وباعة الخضر حتى يسهل عليهم امر خدمتهم بدون ان يعرف اخصامهم بذلك ولمّا أخذ ابناء الطائفة يهاجرون الى مصر صاروا يطلبون من البطريرك كهنة لخدمة نفوسهم فكان يرسل لهم من رهبان دير المخلص وبهذه الطريقة انتشرت الطائفة مع رهباننا في بلاد مصر وبعض مدن اوربا كما يجري الامر اليوم مع الذين يهاجرون الى بلاد اميركا

والناتج من هذا ان الرهبانية كانت في اول القرن التاسع عشر مرتبطة اشد الارتباط بالقسم الاكبر من الطائفة ومكلفة بخدمة نفوسهم في المدن والقرى الكبيرة والصغيرة التي لم يكن سبيل للمطران او البطريرك ان يرسم لها كاهناً من اهلها فكان يكلف الرئيس العام ان يرسل اليها احد رهبانه

وبعد ان خف اضطهاد الروم بعد ثورتهم المشهورة وتلطيف سياسة الاتراك في العقد الثالث من القرن التاسع عشر . وبعد ان اشترى البطريرك اغابيوس مطر دار الشيخ حبيب غندور الخوري في عين تراز سنة ١٨١١ ليجعلها كرسياً له ولخلفائه ومدرسة اكليريكية للطائفة هم حينئذ مجمع رهبان دير المخلص ان يقيموا لهم مدرسة راقية تنافس اكبر المدارس الشرقية وبعد مبادلة الآراء مع بعضهم بهذا الشأن اتفقوا على ان تكون هذه المدرسة قرب دير المخلص

تحت نظرهم ومراقبتهم في الدار التي كان يقيم فيها البطاركة من قبل وقدموا قرارهم بهذا خطًا الى البطريرك اغناطيوس قطّان الذي كان يقيم حينئذ في دير مار مخائيل قرب الزوق ليباركه ويجيزه فاجازه واثبته مع ما يشملهُ هكذا :

المجد لله دائماً

أغناطيوس

برحمة الله تعالى البطريرك الانطاكي وسائر المشرق

صح اننا قد رأينا هذا المشروع الذي ارتضى بهِ حضرة اولادنا مجمع رهبان دير المخلص وباقي جمهور الطائفة اولادنا الدمشقيين وهو راجع للمنفعة الروحية وخير الطائفة العمومي وراحة الاكليروس فمن ثم قد ارتضينا بهِ وقبلناه ونأمر بالسلوك بهِ ونحث على الاسعاف وعدم المعارضة له . . .

ولتحقيق ذلك قد سجلناه باسمنا وختمناه بختمنا الكبير تحريرا في ٧ ت ٢ سنة ١٨٢٨

ولم يكن حينئذ في الشرق مدرسة عالية كما نرى اليوم المدارس والكليات منتشرة في بيروت ولبنان والشام وحلب والقدس وسواها وكذلك لم يكن فيه مدارس اكليريكية الا في بعض الاديار في لبنان فقط . واشهرها واقدمها مدرسة عين ورقة للموارنة قامت سنة ١٧٨٩ وقد علم فيها من طائفتنا القس سمعان الصباغ والبطريرك اغناطيوس قطّان المذكور اذ كان كاهناً .

ولسبب الاضطهاد الذي كان مستمرا في دمشق وسواها من قبل بطاركة اليونان المشاقين على طائفتنا وكهنتها تعذر قيام كهنة كاثوليك فيها من اهلها وكذلك تعذر على بطاركتنا القيام فيها فكانوا يقيمون في دير المخلص ويرسلون من رهبانه كهنة الى رعيتهم يهتمون بخدمة نفوسهم متنكرين بزي العلمانين وباعة الخضر حتى يسهل عليهم امر خدمتهم بدون ان يعرف اخصامهم بذلك ولمَّا أخذ ابناء الطائفة يهاجرون الى مصر صاروا يطلبون من البطريرك كهنة لخدمة نفوسهم فكان يرسل لهم من رهبان دير المخلص وبهذه الطريقة انتشرت الطائفة مع رهباننا في بلاد مصر وبعض مدن اوربا كما يجري الامر اليوم مع الذين يهاجرون الى بلاد اميركا

والناتج من هذا ان الرهبانية كانت في اول القرن التاسع عشر مرتبطة اشد الارتباط بالقسم الاكبر من الطائفة ومكلفة بخدمة نفوسهم في المدن والقرى الكبيرة والصغيرة التي لم يكن سبيل للمطران او البطريرك ان يرسم لها كاهناً من اهلها فكان يكلف الرئيس العام ان يرسل اليها احد رهبانه

وبعد ان خف اضطهاد الروم بعد ثورتهم المشهورة وتلطيف سياسة الاتراك في العقد الثالث من القرن التاسع عشر : وبعد ان اشترى البطريرك اغابيوس مطر دار الشيخ حبيب غندور الخوري في عين تراز سنة ١٨١١ ليجعلها كرسياً له ولخلفائه ومدرسة اكليريكية للطائفة هم حينئذ مجمع رهبان دير المخلص ان يقيموا لهم مدرسة راقية تنافس اكبر المدارس الشرقية وبعد مبادلة الآراء مع بعضهم بهذا الشأن اتفقوا على ان تكون هذه المدرسة قرب دير المخلص

تحت نظرهم ومراقبتهم في الدار التي كان يقيم فيها البطاركة من قبل وقدموا قرارهم بهذا خطًّا الى البطريرك اغناطيوس قطّان الذي كان يقيم حينئذ في دير مار مخائيل قرب الزوق ليباركه ويجيزه فاجازه واثبته مع ما يشملهُ هكذا :

المجد لله دائماً

أَغناطيوس

برحمة الله تعالى البطريرك الانطاكي وسائر المشرق

صح اننا قد رأينا هذا المشروع الذي ارتضى بهِ حضرة اولادنا مجمع رهبان دير المخلص وباقي جمهور الطائفة اولادنا الدمشقيين وهو راجع للمنفعة الروحية وخير الطائفة العمومي وراحة الاكليروس فمن ثم قد ارتضينا بهِ وقبلناه ونأمر بالسلوك بهِ ونحث على الاسعاف وعدم المعارضة له . . .

ولتحقيق ذلك قد سجلناه باسمنا وختمناه بختمنا الكبير تحريرا في ٧ ت ٢ سنة ١٨٢٨

ولم يكن حينئذ في الشرق مدرسة عالية كما نرى اليوم المدارس والكليات منتشرة في بيروت ولبنان والشام وحلب والقدس وسواها وكذلك لم يكن فيه مدارس اكليريكية الا في بعض الاديار في لبنان فقط . واشهرها واقدمها مدرسة عين ورقة للموارنة قامت سنة ١٧٨٩ وقد علم فيها من طائفتنا القس سمعان الصباغ والبطريرك اغناطيوس قطّان المذكور اذ كان كاهناً .

وهذا جميعه بناشطكم وغيرتكم وملاحظتكم لها ياولدنا القس انطون بولاد المدبر الجزيل الاحترام ونسأل المخلص ان يأجركم . فقد اقتطفتم ثمرة اتعابكم حيث قد ظهرت وتلالات ناجحة هذه المدرسة بمجد لان جميع التلاميذ المرتبين بنظام للتعليم والدرس منعكفون ومجدون على التعليم والدرس نهارا وليلًا وفضلًا عن ذلك جميعه حافظون وسالكون بموجب القوانين الكنسية والفروض الرهبانية ومتممون بالعمل نذوراتهم الانجيلية ومن ثم نسأل المخلص ونتوسل اليه باستحقاقات دمه الكريم ان يحفظ من هم تحت كنف وقايته وينجيهم ويحفظهم بنعمته ويحميهم بستر حمايته لكي يستفيدوا ويفيدوا بالعلم والعمل لمجده تعالى ولخير نفوسهم وخير القريب وينجح اعمالهم الروحية والزمنية .

صح أُعطيت هذه الشهادة تحت امضآئنا وختمنا في دير المخلص العامر في ٢٣ نيسان سنة ١٧٣٩

الحقير كير للس
مطروبوليت بسرى وحوران »

(محل الختم)

خامساً شهادة رسمية من قنصلي النمسا وفرنسا في صيدا :

« Nous soussignés, Antoine Catafago, Comte Palatin Chevalier du Saint Sépulcre de Jérusalem et vice Consul d'Autriche à Saint Jean d'Acre et Dépendances Résidant à Seyde et Joseph Conti, Agent de France à Seyde ;

Ayant eu occasion de visiter le Couvent Grec Catholique de Saint - Sauveur (El Mekaless) l'avons trouvé, sans préjudice aux autres Couvents du saint Culte, situés au Mont Liban, l'un des plus florissants sous tous les rapports ; Le Supérieur Général et les Définisseurs sont doués d'un saint zèle pour y faire fleurir les sciences indisppensables

tant au spirituel qu'au temporel , notamment l'arabe littéraire , la rhétorique , la logique , la théologie et le plain chant , sciences jusqu'ici peu cultivées dans ces contrées .

Ce Couvent très hospitalier , fournit quantité de Religieux qui desservent une grande partie des Eglises Grecques Catholiques de la Syrie et de l'Egypte : Les revenus éventuels qu'il recevait étant réduits de plus de la moitié , il se trouve aujourd'hui très embarassé de subvenir aux frais de son entretien et de celui des Eglises et collèges qui en dépendent .

Enfin , Nous certifions également que la bonne harmonie et l'ordre existant parmi les membres de ce grand Couvent , sont dignes d'admiration .

Seyde le 31 Juillet 1838 .

L'Agent de France , Joseph Conti

Le vice Consul d'Autriche , Antoine Catafago »

ونستغني عن ذكر رسالة الاب العام لوكيل رومية يكلفه بها ان يطلب من الحبر الاعظم غريغوريوس السادس عشر غفراناً كاملاً للذين يزورون كنيسة يسوع المخلص التي ضمن المدرسة اذ تعلمون اجابة الطلب وعندكم الجواب

وربما تقولون كيف كانت حال هذه المدرسة واين كان يسكن تلاميذها ومعلموها وما هي الكتب التي كانوا يدرسون فيها وهل كان لها قوانين نظير المدرسة الحالية

أجيب نعم كان لها ولا شك قوانين خصوصية وضعها الرئيس العام المذكور بمشورة المدبرين فقدت كما فقد كثير من الاوراق والكتب القديمة وقد وجدت اشارة اليها في بعض اوراقي القديمة ومن حيث ان الرئيس العام نفسه كان رئيساً لها كما كان بالوقت نفسه رئيساً خاصاً لدير المخلص لم تكن هذه القوانين فيما نظن تتضمن إلا واجبات التلاميذ ومع هذا كان المدبر الثالث القس انطون بولاد ناظرا على المدرسة والمعلمين والتلاميذ والتعليم مع لقب وكيل المدرسة كأنه وكيل الرئيس العام فيها . ووظيفته

وهذا جميعه بناشطكم وغيرتكم وملاحظتكم لها ياولدنا القس انطون بولاد المدبر الجزيل الاحترام ونسأل المخلص ان يأجركم . فقد اقتطفتم ثمرة اتعابكم حيث قد ظهرت وتلالات ناجحة هذه المدرسة بمجد لان جميع التلاميذ المرتبين بنظام للتعليم والدرس منعكفون ومجدون على التعليم والدرس نهارا وليلًا وفضلًا عن ذلك جميعه حافظون وسالكون بموجب القوانين الكنسية والفروض الرهبانية ومتممون بالعمل نذوراتهم الانجيلية ومن ثم نسأل المخلص ونتوسل اليه باستحقاقات دمه الكريم ان يحفظ من هم تحت كنف وقايته وينجيهم ويحفظهم بنعمته ويحميهم بستر حمايته لكي يستفيدوا ويفيدوا بالعلم والعمل لمجده تعالى ولخير نفوسهم وخير القريب وينجح اعمالهم الروحية والزمنية .

صح أُعطيت هذه الشهادة تحت امضآئنا وختمنا في دير المخلص العامر في ٢٣ نيسان سنة ١٧٣٩

الحقير كير للس
مطروبوليت بسرى وحوران »

(محل الختم)

خامساً شهادة رسمية من قنصلي النمسا وفرنسا في صيدا :

« Nous soussignés , Antoine Catafago , Comte Palatin Chevalier du Saint Sépulcre de Jérusalem et vice Consul d'Autriche à Saint Jean d'Acre et Dépendances Résidant à Seyde et Joseph Conti , Agent de France à Seyde ;

Ayant eu occasion de visiter le Couvent Grec Catholique de Saint - Sauveur (El Mekaless) l'avons trouvé , sans préjudice aux autres Couvents du saint Culte , situés au Mont Liban , l'un des plus florissants sous tous les rapports ; Le Supérieur Général et les Définisseurs sont doués d'un saint zèle pour y faire fleurir les sciences indisppensables

tant au spirituel qu'au temporel , notamment l'arabe litté - raire , la rhétorique , la logique , la théologie et le plain - chant , sciences jusqu'ici peu cultivées dans ces contrées .

Ce Couvent très hospitalier , fournit quantité de Religi - eux qui desservent une grande partie des Eglises Grecques Ca - tholiques de la Syrie et de l'Egypte : Les revenus éventuels qu'il recevait étant réduit de plus de la moitié , il se trou - ve aujourd'hui très embarassé de subvenir aux frais de son entretien et de celui des Eglises et collèges qui en dépendent .

Enfin , Nous certifions également que la bonne harmonie et l'ordre existant parmi les membres de ce grand Couvent , sont dignes d'admiration .

Seyde le 31 Juillet 1838 .

L'Agent de France , Joseph Conti

Le vice Consul d'Autriche , Antoine Catafago »

ونستغني عن ذكر رسالة الاب العام لوكيل رومية يكلفه بها ان يطلب من الحبر الاعظم غريغوريوس السادس عشر غفراناً كاملاً للذين يزورون كنيسة يسوع المخلص التي ضمن المدرسة اذ تعلمون اجابة الطلب وعندكم الجواب

وربما تقولون كيف كانت حال هذه المدرسة واين كان يسكن تلاميذها ومعلموها وما هي الكتب التي كانوا يدرسون فيها وهل كان لها قوانين نظير المدرسة الحالية

أجيب نعم كان لها ولا شك قوانين خصوصية وضعها الرئيس العام المذكور بمشورة المدبرين فقدت كما فقد كثير من الاوراق والكتب القديمة وقد وجدت اشارة اليها في بعض اوراقي القديمة ومن حيث ان الرئيس العام نفسه كان رئيساً لها كما كان بالوقت نفسه رئيساً خاصاً لدير المخلص لم تكن هذه القوانين فيما نظن تتضمن إلا واجبات التلاميذ ومع هذا كان المدبر الثالث القس انطون بولاد ناظرا على المدرسة والمعلمين والتلاميذ والتعليم مع لقب وكيل المدرسة كأنه وكيل الرئيس العام فيها . ووظيفته

تقابل اليوم وظيفة مدير الدروس وكان المعلم الاول في المدرسة

وكانت هذه المدرسة تشتمل على عدة غرف بقي منها الى سنة ١٩٠٠ سبع غرف بقطع النظر عن المهدوم للبناء الجديد وكان فيها سنة ١٨٨٥ اثنان وعشرون سريرا واذا قدرنا انه لم يكن يعطى حينئذ للرهبان الصغار اسرة فقد كان يمكن ان تسع نحو اربعين فرشة لكن من المحقق عندنا ان التلاميذ كان فيهم رهبان وشمامسة وكهنة وكان يقيم اكثرهم او بعضهم في الدير وغرفه ويقيمون صلاة الخورس والقداسات في كنيسته ويتناولون طعامهم على مائدته ولم تكن قوانين المدرسة او الدرس تمنعهم من مخالطة ومعاشرة اخوانهم الرهبان بل كان تلاميذ المدرسة الى سنة ١٨٧٠ يقومون في الدير نفسه ببعض الخدم الديرية العامة مثل عجن ورق الخبز .

واما معلمو المدرسة فقد ذكرنا لكم منهم من نعرفهم منهم الاباء انطون بولاد ورفائيل قيومجي وفلابيانوس نعمة ودانيال الحداد الذي صار مطراناً باسم مكاريوس والشيخ بشارة الخوري أعلم اهل زمانه بالصرف والنحو واللاهوت والفقه الاسلامي والخوري نقولا جسطر للبسلتيكا

واما الكتب التي كان يعول عليها حينئذ في الدرس فقد كان منها ما هو مخطوط ومنها ماهو مطبوع فان الاجرومية وابن عقيل فقد طبعا مرارا في مطبعة بولاق في مصر

وكانوا يعولون في علم المنطق على كتاب الايصاغوجي المخطوط للاب يواكيم المطران وبقي التعليم جارياً فيه الى ما بعد سنة ١٨٨٨ وكان العمدة في درس اللاهوت على تأليف واسع مهم باربع مجلدات معرباً عن

الفرنساوية بالقرن الثامن عشر ويعرف « بكتاب الاسقف » ومعما فقد واحترق من نسخهِ فالباقي عندنا منه في مكتبة المدرسة اكثر من ماية مجلد وهي كلها مخطوطة .

لكن كانوا يؤثرون عليه كتاب انطوان اليسوعي لانه مطبوع ويتضمن قضايا كثيرة مفيدة تخص الشرقيين وقد عربهُ في القرن الثامن عشر المطران يوسف العجلوني وطبع في رومية غير مرة مع حواش وتعليقات مفيدة وكتب البسلتيكا كانت تطلب وتأتي بطريق مصر والاسكندرية

لبثت هذه المدرسة سائرة بتقدم ونجاح على ما وصفنا الى سنة ١٨٤١ فقد نالها حينئذ صدمة قوية بالحركة الاولى والثانية سنة ١٨٤٥ وصدمة اقوى سنة ١٨٦٠ بعد ان تجددت حياتها وعمرانها سنة ١٨٥٥ فان هذه النوائب التي كانت تجري في الشوف وتقع بلاياها على دير المخلص والرهبانية كانت توقف سيرها من قبل الرهبانية التي لم تكن تستطيع متابعة عنايتها بها بالعلم في الوقت الذي كانت فيه اديرتها طعمة للنار والنهب وكان السعيد من رهبانها من ينجو بنفسه من القتل وتعدي الجيران ظلماً وعدواناً وليس لهم ذنب سوى كونهم مسيحيين ولسبب ذلك تعذر الاتيان الى دير المخلص والاقامة فيه وامتنع الابتداء الرهباني الى سنة ١٨٦٥ وقد كانت هذه الحركة الاخيرة واسعة الاطراف شملت باضرارها جميع النصارى في لبنان وكل سوريا وكانت المناحة فيها عظيمة ومن سلم من القتل حينئذ من شبَّان الطائفة لم يسلم من الخوف على حياته وما كان يريد ان يخاطر بنفسه ويأتي الى جبل الدروز لدير المخلص .

البطريرك غريغوريوس يوسف (صفحة ٢٠)

المطران اغناطيوس عكّاوي (صفحة ٢٨)

محاضرة ثانية

ألقاها في نادي المدرسة المذكورة في ٢٦ أيّار سنة ١٩٢٧

بلغنا بالمحاضرة الاولى من تاريخ هذه المدرسة العامرة الى سنة ١٨٦٠ وقد جرت في تلك السنة كما تعلمون حوادث دامية ذهبت بحياة كثيرين من ابنآء الطائفة والرهبانية ودمرت هذه الديار والاديار التي فيها ممَّا لا يسعني وصفه بل لا يسعني ذكره إلاَّ مع شديد الاسف وان بعدت تلك الايام وحوادثها .

وقد سبق ذلك فتنة دهماَء في نفس الطائفة اوخلاف واسع الاطراف بين البطريرك الصالح الذكر اكليمنضوس بحوث وبعض المطارنة اتصل الى جميع الطائفة وبلغ شره الى حيث لم تبلغ مذابح الدروز وسببه كما تعلمون اعلان استعمال الحساب الغريغوري .

وكان من قبل في نفس الرهبانية فتنة داخلية بين كبار الرهبان لسبب تسرب الروح العلمانية في قلوب البعض ممَّا لامحل لبيانه بل ارى ان السكوت عن ذلك خير لكم ولاصحابها رحمهم الله .

وبعد ان حرق الدروز دير المخلص ونهبوا كلما فيه وقتلوا الرهبان الشيوخ الذين لم يكونوا يستطيعون الهرب وحرقوا جثثهم وهكذا فعلوا في سائر الاديرة والاناطيش في دمشق وزحلة ودير القمر وغيرها، هرب الرهبان الذين سلموا الى بيروت حتى اجتمع فيها منهم نحو ١٨٠ راهباً

ولم يكن حينئذ للرهبانية فيها مأوى او انطوش فسافر فريق منهم الى مصر

واذ بلغ خبر ذلك البابا بيوس التاسع كما بلغ سائر اقطار العالم ففي أوائل ايلول سنة ١٨٦٠ أعلن القاصد الرسولي يوسف فالير كا البراءة الباباوية باقامة غريغوريوس يوسف مطران عكا وأغناطيوس عكاوي مطران حوران زائرين على الرهبانية وفوض اليهما كل سلطة المجمع الرهباني لادارة الاديرة وارزاقها وجميع الرهبان . واول عمل قام به الزائران انهما أقاما وكيلاً عاماً في دير المخلص الخوري سمعان نصر رجل الوداعة والطهر وكلفاه بترميم الدير واصلاح غرفه ليسكن فيه الرهبان الذين أخذوا يعودون اليه تدريجاً . ثم وضعا هكذا في كل دير وانطوش وكيلاً يقوم بترميمه وتدبير امر رهبانه ثم اخذا يدعوان الرهبان المشتتين الى الاديرة والرسالة ويطلبان المنهوبات من سالبيها وتعويض المفقود منها من لجنة التعويضات التي كان فؤاد باشا رأسها ويوردان من ذلك الى الوكلاء ما يحتاجون اليه لمعاش الرهبان وترميم الخراب .

واذ أرسلا تقريراً مفصلاً عن احوال الرهبانية والرهبان الى رومية بمقتضى زيارتهما صدرت لهما الاوامر في ١٢ آب سنة ١٨٦٢ بدوام زيارتهما وتقريرها مع التفويض اليهما بدعوة الرهبان بوقت مناسب الى مجمع عام لانتخاب رئيس عام ومدبرين ورؤساء سائر الاديار والاناطيش مع فتح باب الابتداء وقبول النذور الرهبانية .

وكان الزائران المذكوران أفضل المطارنة مناسبةً لهذا العمل فكان غريغوريوس أصغرهم سنًّا ولكن أكبرهم عقلاً وأوسعهم علماً وأقدرهم سياسةً وتدبيراً ونفوذاً وقبولاً لدى رومية وقصّادها ولدى الحكومة ورجالها ولدى البطريرك والمطارنة وأعيان الطائفة حتى اتفق المختلفون

منهم على حبهِ وحسن الثقة بهِ وحسن تدبيره وكان مع هذا يحسن الكتابة والخطابة بثلاث لغات بكل فصاحة وبلاغة وجرأة نادرة .

وكذلك اغناطيوس وان كان غير معادل له بعلمهِ ومعارفهِ ونفوذه فلم يكن دونه نشاطاً وخبرة باحوال الرهبانية والمحبة لها وللرهبان وقد كان من قبلُ مديراً عدة مجامع . وكان رحمهُ الله في كل حياتهِ راهباً او مطراناً مع الرهبان كأنهُ واحد منهم ويحبهم كأنهُ أُمٌّ حنون لكلٍ منهم .

وكان لهما مع اعمال الزيارة وتدبير ابرشيتيهما معاضدة البطريرك اكليمنضوس في تدبير امر الطائفة العامّ واسترضاء الحردانين او النافرين من الحساب الخارجين على البطريرك المذكور لسبب ذلك

واذ كان البطريرك لم يزل مصمماً على التنازل عن البطريركية تخلصاً من مشاغبة اخصامهِ وحبًّا لخير الطائفة وحرصاً على وحدتها استدعى الاساقفة الى دير مار يوحنا ولمَّا تمَّ اجتماعهم دخل بهم الى الكنيسة بشارات البطريركية وبعد أن كلمهم بما في نفسه بتواضع نادر تنازل عن البطريركية وترك شاراتها أمامهم وخرج من الكنيسة وعاد الى دير المخلص حيث قضى الباقي من حياته بكل تقوى وصلاح مثالاً للكمال والتواضع الرهباني . وبعد ان تقرر لدى مجمع الاساقفة قبول تنازله من الحبر الاعظم انتخبوا باتفاق تام للبطريركية مكانه غريغوريوس يوسف مطران عكا نفسه في ٢٩ ايلول سنة ١٨٦٤ .

وأول ما فعله البطريرك الجديد انهُ ذهب الى دمشق مقام كرسيهِ البطريركي وردَّ الى وحدة الكنيسة والطائفة الذين كانوا قد خرجوا منها لسبب الحساب الجديد بفرح عظيم اشترك به أهل السماء والارض .

وبعد عيد الفصح سنة ١٨٦٥ دعا كبار الرهبان الى مجمع في دير

المخلص ثم حضر بذاته اليه مع شريكه مطران حوران وبعد احتفاله بقداس عيد العنصرة أقام لهم رياضة روحية ثلاثة ايام لاستمداد نعمة الروح القدس روح المحبة والاتفاق وكان هو الواعظ والمرشد وبعد ذلك انعقد المجمع برئاسته وانتخب فيه للرئاسة العامة الخوري يوحنا كحيل واربعة مدبرين ورؤساء للاديرة الصغار والاناطيش في ٩ حزيران سنة ١٨٦٥ باتفاق تام وفرح عام .

أطلتُ الكلام في هذه المقدمة عن احوال الرهبانية والطائفة قبل ان أدخل بالكلام عن تاريخ هذه المدرسة الذي جعلتهُ موضوع محاضرتي الآن معكم لشدة ارتباط الرهبانية ومدرستها بالطائفة التي هي منها وفيها حياتها كلها وذلك لسبب العقبات التي كانت حينئذ ولبيان جهاد الرهبانية وعملها المجيد حتى تغلبت على كل هذه الصعوبات وسهلت كل هذه العقبات وتجدد بنيان هذه المدرسة الزاهرة العامرة بحمى المخلص وهو في وسطها فلن تتزعزع ابداً .

***

قلنا ان الزيارة الرسولية فُوض اليها من قبل الحبر الاعظم كل سلطة المجمع الرهباني لسبب وفاة الاب العام السابق الخوري باسيليوس صيداوي وانفراط اعضاء مجمعه وانقضاء مدته ومن ثم كان للزيارة قبول الطلّاب في الابتداء وقبول نذورهم الرهبانية بحضور احد الزائرين او بالوكالة كما جرى ذلك فعلًا قبل قيام الرئيس العام في المجمع الرهباني السابق ذكره واذ كانت مدرسة الاباء اليسوعيين في غزير معدةً لقبول المرشحين للكهنوت

من جميع الطوائف الشرقية وهي في مأمن في كسروان من مخاوف الشوف الذي كان يدعى حينئذ جبل الدروز ارسلت اليها الزيارة خمسة شبّان من الرهبان .

وفي ٩ آب سنة ١٨٦٥ صدر الامر من رومية باجراء بعض ترتيبات في الرهبانية على يد الزيارة منها ان يخصص دير السيدة للمبتدئين وان تفتح الرهبانية مدرسةً يتعلم فيها الرهبان العلوم اللازمة للكاهن خادم النفوس . وفي ٧ ايلول سنة ١٨٦٥ طبقاً لذلك انتقل الاخوة المبتدئون من دير المخلص الى دير السيدة مع مرشدهم .

ولا بدَّ ان تكون هذه المدرسة عادت الى سابق عهدها في هذه المدة التي انفردت فيها الزيارة الرسولية بتدبير امر الرهبانية وان لم نقف على سند كتابي او شهادة صريحة بهذا الشأن والذي يدلنا على ذلك اولاً التقليد او رواية بعض الشيوخ ، ثانياً ان الذين ابتدأوا وترهبوا وارتسموا شمامسة وكهنة وترشحوا للدخول في مدرسة غزير ورومية قد درسوا في هذه المدرسة ومن الذين تخرجوا فيها في هذه المدة يجب ان نذكر اثناسيوس خوّام الذي نذر بعد قضاء مدة الابتداء والتجربة في ٩ نيسان سنة ١٨٦٢ وارتسم كاهناً سنة ١٨٦٣ وانتخب مدبراً ثالثاً واستلم الوكالة العامة سنة ١٨٦٥ وارتسم مطراناً على صور سنة ١٨٦٧

نعم يجب ان نفترض انه كان قبل دخوله الدير قد تعلم شيئاً من اصول الصرف والنحو والانشاء لكن يجب ان نكون على يقين بانه درس فصل الخطاب في هذه المدرسة على يد الشيخ ناصيف اليازجي مع الخوري يوسف غنّام ورفاقه قبل ان درس فيها علم اللاهوت وما يلزم لرئاسة الكهنوت .

على انه في سنة ١٨٦٤ حضر اول مرة الشيخ المذكور وأقام ستة اشهر يعلم في غرفة قديمة كانت هنا حيث يقوم الآن هذا المنبر الذي انا جالس عليه كما حكى لي غير مرة المرحوم يوسف غنّام والى هذا أشار الشيخ بقصيدته المشهورة التي نظمها في زيارتهِ الثانية بقوله :

خدمت بداية الايـام فيهِ ... فجاءَ وقلّ ما سبق الفطامُ

ونظم حينئذ تاريخ قبة المذبح الكبير التي تجددت من رخام بعد احتراق القديمة سنـة ١٨٦٠ وقد كانت من خشب

تجددت قبـة للقدس سـامية
نور المخلص فيهـا لاح منتشرا
بسعي اغناطيوس مطراننا وكذا
سعي غريغوريوس معه قد اشتهرا
كقبة سـالف التاريخ جددهـا
في عصر موسى وهرون الذي عبرا

سنـة ١٨٦٤

ولا نظن ان المدرسة كانت تسير حينئذ على نظام ثابت كما كانت في عهدها السابق بل كان الدرس فيها على نوع ما اختيارياً ولهذا السبب وجهَ الاب العـام المذكور عنايته لتنظيمها وتحسين التعليم فيهـا كالمدارس الراقية المعروفة في ذلك العهد في سوريا ولبنان . ولئلّا يكون كلامنا في هذا الشأن مظنـة للشك نثبتهُ بالسندات والشهادات الصريحة التي لا تدعُ مجالاً للشـك والريب :

فقد كتب الاب العام المذكور نفسهُ في ١٩تموز سنة ١٨٦٥ جواباً للمطران مكاريوس الحدّاد النائب البطريركي العام في دمشق الشام اذ يطلب منه إرسال الخوري الياس مسدّيه الى الشام قال :

« غبطتهُ اشهر إرادتهُ له (للاب الياس) بواسطة أخيكم كير اغناطيوس بخصوص الشام فاعتفى ولم يقبل وهو الآن مرتب معلماً بالبسلطيكا » .

وكتب في ١٦ تشرين الاول للخوري ابرهيم الحدّاد الوكيل في مصر يخبره بوصول المرسل منهُ اربعة واربعين كتاب بسلطيكا وثمنها تسعة وعشرون فنتي (ليرة فرنساوية) ومن عدد الكتب نستنتج ان عدد التلاميذ كان حينئذ وافراً وان لم يكن كل التلاميذ يدرسون البسلطيكا وجوباً كالتزامهم بدرس الصرف والنحو واللاهوت .

وقد كتب المدبر الخوري اثناسيوس خوّام في ٢٦ كانون الثاني سنة ١٨٦٦ الى زميله المدبر والوكيل العام الخوري مخائيل ضاهر وهو في الاسكندرية في شغل يخص امور الرهبانية يقول له : « قدس الاب العام مهم بفتح مدرسة رسمية منظمة ومزمع ان يطلب من غبطتهِ البعض من الفرير او خلافهم لمناظرتها وان شآء الله بانظاركم يتم هذا وتنمو رهبانيتكم بالعلوم وغيرها بهمتكم . »

ومعما كانت فيه الرهبانية حينئذ من ضيق ذات اليد والشواغل الباهظة بترميم الاديار والكنائس والدعاوى الكبيرة مع جيرانها من كبار زعماء البلاد لسبب نكبات سنة ١٨٦٠ وما عقبها كانت تسعى جدّ السعي بثلاثة امور جسام : الاول قيام مدرسة راقية تنافس أكبر مدارس لبنان والثاني قيام انطوش في بيروت نقطة دائرة لبنان وسوريا ومصر

حيث لم يكن للراهب المخلصي مكان يسند اليه رأسه والثالث انشآء مطبعة كبيرة فيها تجاري بمطبوعاتها الدينية والعلمية اكبر المطابع الشرقية وقد لاقت بوجه الامرين الاخيرين معارضةً قويةً من المرحوم اغابيوس الرياشي باغراء الحسّاد لكن ما لبث طويلًا حتى زال سوء الفهم وكلٌّ محذور بحكمة البطريرك الحازم وبسعي محبي الخير والسلام من اعيان الطائفة في بيروت ولاسيما خليل المدور وخليل الباشا وأسعد الجاويش رحمهم الله وبتوفيق المخلص قام الانطوش مرتفعاً واسعاً وقامت فيه المطبعة ودارت اشغالها بسرعة سابقت المدرسة المرغوب قيامها قبل كل شيء وقد نظم الشيخ ناصيف تاريخاً لهذه الدار وهو محفور على باب الكنيسة :

في عهد بطرك عصرنا غريغوريوس

قامت بتوفيق اليمين القادرة

فأشار نحو مؤرخيهِ مباركاً

داراً لرهبان المخلص عامرة

وكتب الاب العام في اوّل كانون الاول سنة ١٨٦٥ وهو بافتقاد الاديار الى المدبر الاول الخوري سمعان نصر في دير المخلص ما يأتي :

« والمطبعة صار المباشرة بعملها ولا بدَّ ان الاب المدبر (الثالث اثناسيوس خوّام) عرفكم عما تم وصرنا نطلب الاوامر اللازمة من الاستانة بواسطة غبطته بشأنها (وكان البطريرك حينئذ في الاستانة) فالرب ينمي الرهبنة بايامكم ومساعيكم مع باقي اخوتي الآباء المساعدين وصرنا ملزومين بعمل الجهد لافتتاح المدرسة باسم الرهبنة التي يلزم ان يشهر هذا العمل ونجتهد لاتمامه قبل كل شيء ولو عاشت الرهبنة على العيش

الخوري سمعان نصر ب ـ م (صفحة ٢٧)

(او الخبز) الناشف وفتح المدرسة افضل من كل غنى لان هذا من ضروريات حفظ دوامها والرب يدبر »

وكتب في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٨٦٦ للخوري توما قيومجي الوكيل في رومية بهذا الشأن ما يأتي :

« ان هذا السرور الذي حصل عندكم وعند الجميع باتحاد الرهبنة هو من فضل الله بروحانية المؤسس وبادعيتكم البارة والجميع بألفة وسلام غير انَّ تعاسة الوقت ربطت اعمالنا عن الامتداد فيما يلزم لاكمال مرغوبنا بفتح مدارس للعلوم الرياضية الذي أُومل عن قرب ومهم بفتح مدرسة حيث بالحاضر انوجد نحو عشرة من الذين دخلوا الرهبنة قابلين العلم وعندنا مبتدئين من دمشق ومن غير جهات قابلين لهذا من سبعة الى ثمانية فهؤلآء انا واخوتي المدبرين مستعدون ان نضعهم بالمدرسة ومنتظرين مَن يكون كفوءاً لوضعه مرشداً ومدبراً لهذه المدرسة فالمسموع عندنا ان الاخ بائيسيوس حجَّار الذي عندكم بالمدرسة انه صار مكفيًّا بالعلم ولكن لا نعلم ان كان تمم علمهُ او لا وهل هو كفوءٌ لهذا ام لا فيقتضي ان تفيدونا عن كل هذا بوجه السرعة بدون ابطاء »

ثم استدرك على ذلك في آخر رسالته المذكورة بان كتب له هكذا :

« فهمنا أنَّ الاخ مخائيل حجَّار المذكور باقي له سنتين وهو متقدم بتلاميذ المخلص عندكم فنحن نريد ان يكمل علمه وصرنا نطلب للمدرسة بواسطة غبطة بطريركنا من جمعية الفرار او اليسوعيين او من يختاره من هو كفوءٌ لادارة مدرسة يسوع المخلص عندنا »

ويظهر ان الخوري الياس الحجَّار كان مرتباً معلماً للصرف والنحو وعلم الذمة او اللاهوت وقد طلب مراراً سنة ١٨٦٦ من الاب العام ان يعفيه

بدون ان ينال ذلك حتى اضطر ان يطلب ذلك خطاً فأجابه الاب العام خطاً بالرفض وهذا نصُ جوابه « حيث انكم خاطبتموني بالورق بطلبكم الاستعفاء من تعليم الاخوة الذي اذا اعتبرناه بالحالة الحاضرة لا يعدُّ شيئاً غير انه لم يكن مأمولاً منكم في هذه الضيقة بان تكونوا انتم والزمان واحد (ضدنا). والطاعة لا تريد ان تعفيكم من وظيفتكم هذه الى ان تجد الموافق لها لوظيفة التعليم وان شئتم ان تتعالجوا في احد المحلّات عرفونا وايديكم مقبلة . »

ويظهر انهُ كان متزعجاً من قبل صحته ولذلك اضطر ان يكتب للبطريرك الزائر فأوعز الى الاب العام باعفائهِ فجاوبهُ الاب العام في ٣ تموز سنة ١٨٦٦ هكذا : « ولدكم الخوري الياس حجّار من بعد مجاوبته لنا بالقبول اعتذر ونحن لم نقبل منه بالحاضر إعتذاره لان الرهبنة لا يوجد فيها بالدير الآن من يقدر يدرّس اقل المراتب علم الذمة فسيادة كير اغناطيوس حرر له كفاية والآن دوّرنا جميع الاخوة لعلم الذمة من حيث علم النحو تصعب قبوله منهم وهذا كله موقت الى ان ينتهي علم الاب مخائيل حجّار برومية ويكون سائر الاخوة صاروا ناذرين كما التمست من غبطتكم التفسيح لنذرهم ويصير اجتماع التلاميذ الذين بغزير والقابلين للعلم من الاخوة فتكمل المدرسة بواسطة الاب المذكور »

ويظهر لكم من هذا انه كان في مدرسة غزير ومدرسة عين تراز تلاميذ من رهباننا .

فانه في سنة ١٨٦٦ فتحت مدرسة عين تراز بعد ان قام بترميمها المرحوم الخوري اكليمنضوس عيسى ودخل اليها ثلاثة من رهباننا غير الخمسة الذين في مدرسة غزير .

وفي ١٠ آب من هذه السنة عاد الى دير المخلص تلاميذ مدرسة غزير الخمسة صحبة الشيخ ناصيف اليازجي ليعلمهم مع سواهم في مدرسة الدير في فرصة الصيف وهذه المرة الثانية التي اتى الى الدير ليعلم ونظم حينئذ قصيدته الشهيرة المطبوعة التي اولها :

الى دير المخلص ياغلام هلم بنا فيانعم المقام

وبعد ان يشير الى زيارته الاولى يقول مؤرخاً زيارته الثانية :

نزلت بهم وراحلتي عليها من الاحمال علم لا حطام
وذاك كرامة يسعى اليها وتبقي بعد ما تبلى العظام
خدمت بداية الايام فيهِ فجآء وقلّ ما سبق الفطام
لعلّ الله يجعل لي ثواباً نؤرخهُ فيخدمني الختام

ويظهر ان الاب العام كان معولاً على فتح المدرسة من كل بد في اول تشرين الاول كما يظهر مما كتبه في ٢ تشرين الاول سنة ١٨٦٧ الى المطران اغناطيوس عكّاوي الذي كان البطريرك غريغوريوس زميله فوّض اليه كل اعمال الزيارة لسبب سفره الى مصر ورومية قال :

« من حيث ان الفريضة الرسولية تأمر بالمدرسة والزيارة الرسولية تأمر بهذا ولم يصر لولدكم فرصة يمكنني بها اتمام الاوامر الرسولية المذكورة للاسباب التي لاتجهلونها . . . وأخصها عدم وجود تلاميذ قابلين لهذه المدرسة كما انه بالحاضر اذا تنازلتم بالتفسيح (بالسماح) لتكون مدرسة يسوع المخلص منفردةً لوحدها وأن يقام عليها رئيس خصوصي يحافظ على رتبة قانون المدرسة وتهذيب اخلاق التلاميذ بالروحيات والزمنيات غير

مختلطين مع احد اذ تكون صلواتهم وحضور الذبيحة الالهية وسائر خدمتهم بعيدة الاشتراك مع جمهور الرهبنة فلهذا تُعد مدرستكم هذه بقوانينها اكثر صرامة من دير السيدة الذي خصصناه للمبتدئين وبما ان غبطته بعيد المسافة عنّا وسلطان سيادتكم كسلطانه بالزيارة الرسولية فألتمس من غيرتكم الابوية على هذه الرهبانية تشريفكم للعامر لتباركوا هذه المدرسة التي تأسست على اسم يسوع المخلص التي ترتب لها معلم يعلم من اللغات يوناني ، ولاتيني ، وفرنساوي ، وتلياني ، وعلم التصوير (المراد به الرسم) والعربية ثم ألتمس الاذن من سيادتكم الدخول فيها لكلٍ من المبتدئين اذا وجدناه قابلًا للعلم وعنده مبادي بهذه اللغات التي من بعدها ينتقل من اللغات الى العلوم الرياضية واللاهوت أدبيًا ونظريًا وحيث سيادتكم لكم الغيرة الابوية على رهبنتكم أرجو ان يكون لي الاذن بما ألتمسه بقبول الاحداث الواردين الى الرهبنة ليمكني وضعهم اذا كانوا قابلين للعلوم المذكورة كما أني أرجو إشهار إرادتكم الرسولية هذه وتتويج اعراضي هذا من سيادتكم بعلامتكم الشريفة او برسوم خصوصي يوضح كلما التمسته »

فقد تقرر لديكم ايها الآباء الاجلاء والاخوة الاعزاء من نص هذه الرسالة استئناف فتح هذه المدرسة باحسن مما كانت من قبل وتعين لها رئيس حينئذ الخوري يوسف غنّام الذي كان من قبل معلماً للمبتدئين وبمشاركته وبالاتفاق معه ترتب لها قانون خاص أُخذ من كتاب روضة الواعظ وأُضيف اليه بعض ترتيبات خاصة وجعلوا لها معلماً فرنساويًا باجرة سنوية ثلاثة آلاف فرنك كما سيأتي بيان ذلك بالسندات.

وكتب الاب العام في ٩ تشرين الاول للمطران مكاريوس حدّاد

يخبره بوصول الفتى ديمتري نقولا الزبّال من دمشق للابتدآء الى الدير فيقول:

« اذ صار فيه افتتاح مدرسة لعلم اللغات فقد رتبنا فيه ولدكم ديمتري مع التلاميذ كما أني أرجو ان تطمئنوا الخواجا الياس سيور عن ولده لانه بغاية الصحة ومن جملة التلاميذ المنتخبين مع ابن صالومي وفرح وعددهم من ٢٠ الى ٢٤ يتعلمون اللغات الساري علمها في المدارس لاننا استحضرنا معلم شهير »

وكتب في ١٥ تشرين الاول الى المطران اغناطيوس عكّاوي ما ياتي:

« فمن خصوص المعلم بموجب شهادة الابآء اليسوعيين في بيروت الذين كانوا معه في مدرسة باريس الكبرى وأحدهم الذي في مدرسة غبطته في بيروت والثاني البادري بدورا . والذي أرسله لنا هو الخواجا نقولا سيوفي كنّا وكلناه مع الخواجا سليم نصر اللذين بتحريرهما يقولان انهُ لا يمكن تاخذوا معلماً اخبر منه او أحسن . . . وأمّا عن استفهام سيادتكم عمّا ان كان يفيد لكونهِ لا يفهم باللغة العربية فنجيب انّ بعض الاخوة المبتدية يعرفوا اللغة الفرنساوية (ولاسيما هرمس) وأرسلنا لسيادتكم الكنتراتو صورتها حرفيًا واما تهذيبات المدرسة فقد اقططفنا ما يلزم لعمل قانون لها من كتاب روضة الواعظ الذي عند انتهاء نعرضه لسيادتكم واما التلاميذ الموجودين الآن اثنين وعشرين والمعلم المذكور تعهد في بنآء ضهر المدرسة في الاجر والخشب ما يأوي اربعين تلميذاً وصالو للدرس بماتين ليرا فرنساوي ويمكن لمرتها خمسين فرنساوي زيادة وطلب ان يعمل كنتراتو بهذا الامر الذي نجده بكل موافقة إلاّ ان عسر الوقت منعنا عن عمله . . . »

وكتب في ٢٧ تشرين الاول للخوري ابرهيم الحدّاد الوكيل بمصر قال:

« لابد بلغكم التزامنا بفتح المدرسة بموجب امر البطريرك عن امر

الكرسي الرسولي واننا إلتزمنا لدفع ماهية معلم واحد خمسة عشر الف قرش التي تعمل عملة عندكم واحد وعشرين الف عدا عن المشتروات اللازمة من كتب وخلافها فهذه المدرسة هي عروة الرهبنة التي بانشآئها تحفظ جسم الرهبنة بالكامل وبعدمها تعدم رأساً واذا ابنآء هذه الرهبنة ما أخذتهم الغيرة بمساعدتنا لها فلا يقوم الحال لان محصولات املاك الرهبنة لا تكفي مصاريفها فضلاً عن تجديد هذه المدرسة . . . »

وكتب في ١٢ تشرين الثاني منشوراً عاماً لكل افراد الرهبان ب . م يطلب مساعدتهم قال فيه ما يسرهم ويسركم بل يسر الجميع :

« من كونكم احد ابآء هذه الرهبنة الغيورين على عمارها ومتأكد عندي انه يسركم نجاحها ويغمكم اضرارها ولكم الغيرة عينها التي لنا على هذه الرهبنة فلهذا اقتضى بالحاضر ان احرر لابوتكم الاوصاف الحاصلة عليها هذه الرهبنة من النجاح لتكونوا مشتركين معنا في مسرتنا بنجاحها ووحدة حالها في السلامة والاتحاد المرضيين ليسوع المسيح مخلصنا فمن هذه الجهة منة من الله حاصلة رهبنتكم على كمال الاتحاد والجميع تجدونهم بغيرة واحدة ساعين الى ما يرضيه تعالى بدوام الرياضة الروحية والمداومة بالكتب الروحية غير مبذرقين فرصة تذهب بدون عمل روحي فحقاً ان سرورنا من هذه الجهة لا يوصف وبالاخص اذ نجد اخوتكم الاحداث فضلاً عن المتقدمين عليهم رتبةً من الآبآء تجدون الجميع راكضين جرياً لاقتنآء الفضائل ولاقتفآء امثال غبطة الطوباوي كيريوس كيريوس اكليمنضوس بسيرتهِ الصالحة وصلواتهِ الحارة المقرونة بالدموع واعمال التقشفات فهذا الامر يعزينا في أنهُ تعالى ما زال مسبلاً عنايته بحفظ هذه الرهبنة وغير هاملها من عنايته الالهية فلذلك اردت ان اشركم

بفرحي هذا كما اني ابشركم ايضاً بالنجاح الثاني وهو فتحنا المدرسة تحت رتبة قوانين القديس ألفونسيوس ليكوري بالعلوم والسيرة الروحية . . . وكما اشرككم بهذا السرور فبغم لا مزيد عليه اشرح لكم الحالة المحزنة التي حصلت عليها رهبنتكم من جهة الامور الزمنية وهي هذه : اولاً لعلمها بوجود بواقي مال المسلوبات فكنّا ساعين بالاعمال التي تزيد رهبنتكم نموًّا بارزاقها وبالبنايات اللازمة لسكن بنيها ولقيام ارزاقها . . . فهذا الامل قد خاب ولم يعد غابياً على احد مصائب هذه الرهبنة من هذه الجهة وخلافها . . .

وأجمل تفصيلاً من هذا ما كتبه في ١٠ كانون الاول سنة ١٨٦٧ للبطريرك غريغوريوس :

« وأمّا من جهة المدرسة التي افتتحت بعناية طوباويتكم فكيفيتها بالشقة عن طيه ويجال كوني تواقعت على غبطتكم مرات حينما كنتم مشرفين بالعامر وكررت هذا التواقع بالرجا الذي تنازلتم بقبوله بوعدكم بولدكم القس مخائيل حجّار ان يكون معلماً ومديراً للمدرسة برهبنتكم الامر الذي سهى عن بالكم وأمرتم بارساله لمدرستكم العامرة في عين تراز الامر الذي التزمت رهبنتكم ومدبرها ان نتحمل ما سنذكر بالشقة المعروضة (بشأن المعلم الفرنساوي) ولا أعلم كيف السماح الالهي يأمر بوقوعنا في مصادمة المصائب الصائرة على هذه الرهبنة كصواعق منقضة من كل جهة قصاصاً عن خطايا سالفة اذ نظراً لحال الرهبنة بالحاضر فبصدق ايها الطوباوي انهُ منة من الله جمهور رهبانكم ليس انهُ حاصل على تمام وحدة السلامة والاتحاد فقط بل على روح التقوى والعبادة والمسابقة على الفضيلة والمثابرة على الصلوات والرياضات ودوام الزيارات حتى لا تفرغ الكنيسة من دوام

الزائرين بها وهذا جميعه ليس إلاَّ من أدعيتكم الابوية وعنايتكم السيدية على هذه الرهبنة وهو وحده معزي ولدكم ليتجرع كأس المصائب الصائرة علينا وآل امرنا الى حالة الفقر والحيرة (بشأن دعوى بكيفا وسواها)

وبائيسيوس او مخائيل حجّار هو نفس المرحوم المطران باسيليوس . وننقل عن الشقة المرسلة مع هذه الرسالة ما يأتي مما لم يذكر قبلاً :

« ثانياً قبلَ معنا المعلم باجرة سنوية ثلاثة آلاف فرنك يندفع له اجرة كل شهر في شهره وقبلَ ان يعلم خمس ساعات في المدرسة . ثالثاً عملنا معه خطًّا الشروط اللازمة علينا وعليهِ ورجعناه الى بيروت ليصير تحقيق الفحص عن موافقته لنا فرجع لنا الجواب كالاول باغتنام هذه الفرصة السانحة النادرة فاقتضى عقدنا معه الشروط ان يكون مربوطاً لسنتين ونحن نكون مربوطين لسنة ولا نلتزم له بشيء سوى الماء من البير والخشب للموقد ومحل للسكن . رابعاً اذ لم يوجد عندنا قابلين للعلم في المدرسة سوى المبتدئين فبسماح وامر سيادة ولدكم المطران اغناطيوس اذن ان يصير انتقالهم (من دير السيدة الى المدرسة مع ولدكم الخوري يوسف غنّام) والغير قابلين العلم من المبتدئين بقيوا في دير السيدة بنظارة الريس ومساعده لهم والمنتقلين الى المدرسة مفروزين منفصلين عن الرهبان انفرازاً تاماً كما كانوا في دير السيدة حتى في بيت المائدة لوحدهم وحسب امره اقمنا كلما رسم وانتخبنا منهم ثمانية عشر تلميذاً مع الاربعة المنتهين مدة ابتدائهم ومعهم الخوري يوسف الجملة اثنين وعشرين تلميذاً والناذرين حديثاً يكونوا بالمدرسة لوقت المنامة وخاضعين لامر رئيسم الخوري يوسف والمذكور مع المبتدئين منامتهم في المدرسة . خامساً رتبنا فرائض للمدرسة اقططفناها من كتاب روضة الواعظ للقديس الفونسيوس ليكوري من

تهذيبات روحية وصلوة عقلية واختصاصات التلاميذ والراعي والرئيس والمعلم وعينا اوقاتاً لتلاوة جزء من الفرض وحضور القداس ولاخذ العلم والدرس والفسح للراحة والتنزه بعد الاكل وللمنامة ومنعنا منعاً تاماً الدخول اليهم وخروج احد منهم فمن هذه الجهة هم بكمال الترتيب بالنوع الذي بما لايجد احسن من مدة اقامتهم في دير السيدة لان ليس عندهم وقت يتفرغون فيه وبحمده تعالى نجدُ انهم حاصلون على تمام المرغوب من التهذيب والتقوى والرياضة الروحية ويومل منهم النجاح في المستقبل علماً وتهذيباً . سادساً اماً لجهة المعلم فانه بغاية المناسبة من حيث العلم لو كانت اطواره مناسبة لعلمهِ فحضرة الذين أرسلوه مع الاب اسطفان تركوا ملاحظة هذا الامر الجوهري اللازم ان يكون في معلم التهذيب والتقوى واكتفوا بمعرفته انه معلم ولم يفتكروا بتلك الحرية التي اعتاد الفرنساوية عليها وغير ذلك

وصار افتتاح المدرسة في ١٠ تشرين الاول سنة ١٨٦٧ فمن كان متقدماً بمعرفة اللغة (اي له المام بالفرنساوية) مسكه اللغة اللاتينية وعلم الحساب والجغرافيا والاخرون مسكهم ابتدآء او مبادي اللغة الفرنساوية فمن هذه الجهة حاصل علم الا اننا متعوبين معه من جهة اطواره وتصرفاته الامر الذي ألزم حضور قنصل فرنسا من صيدا للدير . . .

ولا يسعني ان أذكر لكم المشكلة التي وقعت بسبب هذا المعلم الفرنساوي الذي له اليوم امثال في من نراهم من الفرنساويين وهم خلاف ما نعتبرهم ومن حيث ان أكثر التلاميذ كانوا مبتدئين تعلموا منه وأخذوا شيئاً من الحرية عن معلمهم فلم يثبتوا كلهم وفي سنة ١٨٦٨ تعين معلما بدله بمساعي الشيخ الفاضل شديد حبش (الذي كان ممتازاً بتقواه وعلمه ونزاهته من كل تحزب وتعصب) المعلم يوسف باخوس خرّيج مدرسة

مار عبدا هريا قرب غزير وزميل الشيخ المذكور الذي كان مرشحاً للكهنوت نظيره وكان المعلم المذكور من انجب تلاميذ هذه المدرسة ومن أبرع الكتّاب في كسروان بالكتابة والخطابة والشعر بالعربي والفرنساوي واللاتيني وكان فيلسوفاً متبحراً بهذا العلم ولذلك أنجب تلاميذه في الفلسفة واللاهوت وكان مع هذا ديناً تقيًّا رضي الاخلاق مهذباً قضى ثلاثة سنين في المدرسة ومع التلاميذ والرهبان ولم يدع سبيلًا للشكوى منه بشيء وما من احد من تلاميذه يذكره إلاَّ بالخير والشكر والثناء. وقد عرفتُ بذاتي الذين نبغوا من تلاميذه وعاشرتهم وأذكر منهم النجباء المشهورين المطران اغناطيوس معقد الكاتب البارع والخطيب الواعظ منقح المينا ون ومؤسس المسرة والمطران افتيميوس زلحف الكاتب البارع المدقق الذي لا يقدر الناقد ان يحذف كلمةً من رسائله او يزيد عليها كلمةً إلاَّ تشوشت واختلت . والخوري مخائيل البركس وكيرلس زعتر الجدلي الفقيه والخوري ديمتري قندلفت واسطفان فرح وابرهيم خليل ونقولا هرمس وكان هذا أسبقهم وأفضلهم استعداداً اذ كان قد اخذ اصول الصرف والنحو في المدرسة الوطنية ، والفرنساوية في مدرسة عين طورة .

ولا بدَّ ان كان معهم سواهم ممن لم تصل الينا اساميهم ولم يثبتوا في جهادهم في المدرسة ولا الرهبانية نظير رفاقهم الذين غلب عليهم لقب اصحاب الصف اوالفوج الاول وقد استحقوا بكل صواب وأهلية هذه الاولية ايضًا لنجابتهم في دروسهم ومعارفهم وتركوا لذلك في المدرسة ذكراً جميلًا يدوم ما دامت هذه المدرسة الى ما شآء الله .

محاضرة ثالثة

ألقاها في نادي المدرسة المذكورة في ٢٤ تموز سنة ١٩٢٧

بينما كان الفوج الاول من تلاميذ هذه المدرسة يتمم درسه فيها برغبة ونجاح تحت نظارة رئيسها الطيب الذكر الخوري يوسف غنّام او أبو غنّام اذ تجدد انتخاب الايكونوموس يوحنا كحيل للرئاسة العامة في اول ايلول سنة ١٨٦٨ وكذلك تجدد انتخابهُ لها في المجمع الذي انعقد في اول ايلول سنة ١٨٧١ كالعادة وكان دائماً معه الخوري سمعان نصر المدبر الاول ولم تتم له مدة مجمعهِ الثالث إلاَّ وقد أتموا دروسهم وارتسم بعضهم شمامسة في ٢٤ أيار سنة ١٨٧٤ في كنيسة دير المخلص من يد المطوب الذكر البطريرك اكليمنضوس بحوث بموجب تفويض خاص له من خلفهِ البطريرك غريغوريوس يوسف الزائر الرسولي الذي اذ حضر الى دير المخلص لرئاسة المجمع رسم البعض منهم كهنةً في ٨ تشرين الثاني من السنة المذكورة .

وفي اول ايلول من تلك السنة ١٨٧٤ انتخب للرئاسة العامة الخوري سمعان نصر المدبر الاول المذكور سابقاً الذي يصح ان يقال عنه بكل حق وصواب انه كان صورة حية للكمال الرهباني بوداعته وتواضعه ونشاطه واخلاص حبه للرهبانية والرهبان وحبه للصمت حتى كان يظن انه مريض بدآء السكتة وحقيقة الواقع انه كان رجل اعمال لا رجل اقوال .

وتجدد انتخابه للرئاسة العامة في ايلول سنة ١٨٧٧ ثم في سنة ١٨٨٠ وانتخب معه دائماً في الثلاث المجامع الايكونوموس يوحنا كحيل مدبراً اولاً ومن حسن التوفيق أُنتخب الخوري يوسف غنّام مدبراً رابعاً سنة ١٨٧٤ ومدبراً ثالثاً سنة ١٨٧٧ ومدبراً ثانياً سنة ١٨٨٠ وثبت دائماً رئيساً للمدرسة .

وقد توفى الله الزائر الرسولي المطران اغناطيوس عكاوي في ١١ آب سنة ١٨٧٠ في دمشق فأسف عليه جداً جميع الرهبان اذ كان لهم بمقام أَب وأُم وأَخ وبعد موته تعين مكانه زائراً مطران صور المرحوم اثناسيوس خوّام . ولاسباب لا محل لذكرها هنا عزل او استقال سنة ١٨٧٣ وانفرد حينئذ البطريرك غريغوريوس بامر الزيارة كما انفرد بامر البطركية .

تقدم ان عدد التلاميذ كان ثمانية عشر مبتدئاً وأَربعة رهبان كانوا ينامون في الدير بعد ان كانوا يقضون سحابة نهارهم في المدرسة لضيق بنايتها بهم ولكن هذا العدد كان يزيد بمن كان يأتي اليها جديداً ممن يكون قادراً على اللحاق باخوانه بصف واحد وكان ينقص غالباً بخروج من كان عاجزاً او مقصراً عن اللحاق بصفه ثم امتنع نيام التلاميذ في الدير اذ كان اختلاطهم مع الرهبان الكبار في الدير ومع سواهم مدعاة لتشويش افكارهم وأَفكار رفاقهم باخبار لا فائدة فيها ولا طائل تحتها وتقرر انفصال التلاميذ عن جميع الرهبان انفصالا كاملًا وان من يخرج منها لا يعود اليها ابداً ويكون خروجه منها كخروج آدم وحوآء من جنة الفردوس . . .

وكان رئيسها بسهره وهيبته وشدة محافظتهِ على قوانينها وتهذيب تلاميذها بمقام الكاروبيم الذي جعله الله على باب جنة الفردوس وبيده حربة النار الملتهبة وكان يحمل بيده ماسورة غليون اذا خرج من غرفته

للنزهة او لغرض وكانت عيناه السوداوان الكبيرتان تزيدانه هيبة اذا نظر ما يثير غضبه .

قلت كانت بناية المدرسة تضيق بالتلاميذ ولذلك كان يتعذر الاتيان بفوج آخر جديد اليها قبل ان يخرج منها الفوج الاول — لو تيسر ذلك — اذ كان لا يتجاوز عرضها مقدار طول هذا الصالون ولم تكن تصل بطولها الى الايوان الثاني الذي قبل غرفة حضرة الاب الرئيس كما أعرف ذلك بنفسي وهي تشغل هذا المحل نفسه ولم يكن فيها سوى عشر غرف بين صغيرة وكبيرة للدرس والمدارس والمنامة وللصلاة والقداس في الطابق العلوي وكانت غرفة المائدة في الطابق الارضي وقد صارت اليوم بئراً للمياه مع باقي اقبية الطابق المذكور التي كانت مستودعاً او مخزناً للحطب والفحم وما شابه ذلك . وكان قد مرَّ على هذه البناية نحو مئة سنة ونيف الى ذلك الحين ولو لم تكن بنيت على صخر بناءً قوياً لتهدمت او تداعت .

وكان مقابلها الى جهة الشرق غرفتان صغيرتان او ثلاث كانت في الاصل داراً لمطران بانياس باسيليوس فينان اذ كان دير المخلص تابعاً لابرشيته في ذلك الوقت ثم صارت مستودعاً لادوات الحراثة والزراعة وقد اضحت حينئذ خراباً وتشغل اليوم مكانها غرفة الفرمشية او محل التجليد والنجارة .

ولم يكن حينئذ في جميع الارض التي تحيط بها اسوار المدرسة اليوم ارض تصلح للزراعة إلاَّ قطعة صغيرة لا يتجاوز طولها خمسة امتار يقال لها جنينة قزما الى شمال بئر الكحيل وقد قام اليوم في مكانها قسم من المكتبة ولم يكن فيها شيء من الشجر الا ثلاث توتات من التوت الشامي الكبير الحلو الثمر مع شجرة من الملول او العفص كانت فيما يقرب من قن الدجاج

وما سوى ذلك كان اما صخوراً ضخمة كالجبال او حجارة كبيرة او صغيرة متراكمة رجماً عالية وقد انفرجت بينها الوهاد كالاودية كما ترون اليوم البقية الباقية من ذلك بجوارنا حيث لم تمتد يد الانسان العامل .

واذا نظرتم الى الرصيف الطويل العريض الشرقي حيث قام اليوم قن الدجاج والى الملعب الكبير الغربي والى الملعب الشمالي الواسع والى ما في جواره من الركام وعرفتم انها رصفت كلها بفضلات ما لزم من هذه الحجارة الصغيرة لحشو عقود الاقبية وجدرانها العريضة وما أكثرها و أكبرها وفضلات ما لزم من ذلك لسور المدرسة الواسع الاطراف علمتم بالقياس والاستدلال ما كان هناك من الصخور والجبال والوهاد حيث تقوم اليوم مدرسة يسوع المخلص العامرة الزاهرة وما يحيط بها من الحدائق الغنّاء كانها جنة تجري لا محالة فيها مآء الحياة من فضل المخلص . وقد كانت الرهبانية ترغب اشد الرغبة في ان تشيد لرهبانها مدرسة كبيرة واسعة تنافس اكبر المدارس التي أخذت تبنى في بيروت ولبنان او ان توسع دائرة مدرستها هذه القديمة لكن كانت الصعوبات والموانع في سبيل ذلك جمة ومهمة وأهمها قلة المالية بعد ما انتابها من البلاء في حوادث سنة ١٨٦٠ وما عقب ذلك من خصام زعماء البلاد من جيرانها وشركائها واضطرارها لمشترى اراضيهم واسترضآء خواطرهم مع عظم ما يقتضي لهذه المدرسة من النفقة الكبيرة ولذلك وقع الخلاف حينئذ بين ذوي الشأن في أمر اختيار محل لها وكاد يتغلب رأي من كان يريد ان تكون في دير رشميا او في دير عميق وكانا قد ترمما بعد خراب حوادث سنة ١٨٦٠ للتخلص من نفقة بنآء مدرسة جديدة كبيرة معا في هذا الرأي من المحظورات اذ تكون المدرسة هناك بعيدة عن دير المخلص وعن نظر الاب العام وعن مجمع الرهبانية

الخوري يرسف غنّام ب ـ م (صفحة ٤٢)

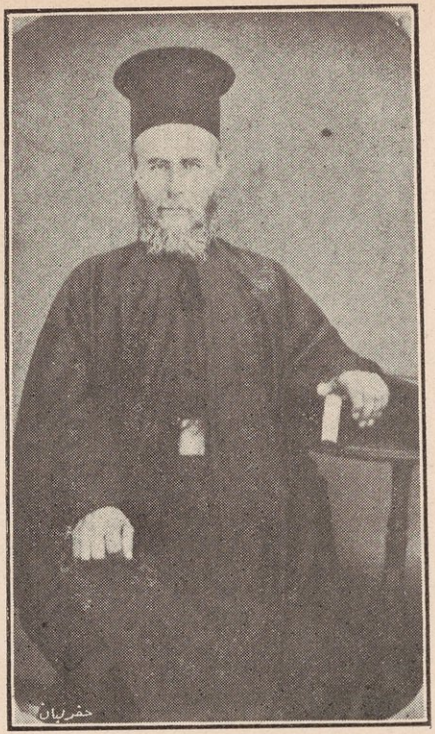

الايكونوموس اسطفان صقر ب ـ م (صفحة ٤٥)

ومركزها وبذلك يفقد او يخسر اولادها الدارسون كثيراً من عنايتها بخلاف ما اذا كانوا دائماً بقربها وتحت نظر ابيها العام علاوة على ما في ذلك من سوء الظن بقصد المناظرة بين تلاميذها الرهبان وتلاميذ مدرسة عين تراز البطريركية القريبة هناك .

ومن هذه الاسباب قلة المياه حينئذ في دير المخلص فان جميع ما كان يجمع في الآبار طول السنة من مياه الامطار يكاد يكفي ما كانوا يحتاجون اليه لشرب الرهبان والزوار والماشية وما يقتضيه الغسيل والمطبخ والورشات الصغيرة ولذلك صرف الاب العام الكجيل في مجمعه الاخير همه كله الى عمل البئر الكبيرة المعروفة باسمه وقد أنفق عليها من مال الرهبنة نحو اربعين الف قرش بموجب دفتر حسابه الخاص بيد كاتبه المرحوم اسكندر البتاوني وبعد ان وُضع لها حنفيتان كبيرتان بناية قرش عُدل ما كان تسع من الماء لو كانت تمتلئ فاذا هي عظيمة حتى لو فتحت حنفيتاها الكبيرتان وجرى الماء منهما نهاراً وليلاً لم تفرغ في مدة شهرين كاملين لكن لم يكن سبيل الى ان تمتلئ اذ لم يكن ممكناً ان تاتيها المياه الا من سطح المشى الشرقي مما لايتجاوز نصف مقدار ما تسع .

ولهذا السبب انصرفت همة رئيس المدرسة الى جمع المياه ومن ثم حول كل عقود الاقبية التي كانت فيها الى آبار للمياه ثم بنى بئراً كبيرة الى الشمال وجعل اتصالاً بينها وبين الآبار الصغيرة حتى صارت كلها كأنها بئر واحدة

لا بد ان يخطر على بالكم هنا هذا السؤال : ألم يخطر على البال حينئذ جلب مياه الجليلية التي نراها اليوم تجري في الدير والمدرسة وجواره

أُجيب ان امر جلب المياه الى دير المخلص قديم بقدم عمرانه لان المياه من ضروريات الحياة ومن لا يشعر بضروريتها . قال لي ذات مرة المرحوم

الخوري يوسف غنّام حينما اهتمت الرهبانية بجلب مياه عين المقيصبة سنة ١٨٩٢ بعد العدول عن جلب قسم من نهر بسري : «قبل ان آتي الى الدير كنت أسمع بعزم الرهبان على جلب المياه الى دير المخلص ثم حضرت وترهبت فيه وارتسمت شمّاساً وكاهناً وصرت مدبراً مدة ثلاثة مجامع ورئيساً مدةً طويلةً وأنا أسمع هذا الحديث من الكبار والصغار وذوي الشأن وعما قليل سأموت ولا أرى ذلك بعيني» وهذا حقيقة الواقع فانه مات رحمه الله في ٣ كانون الاول سنة ١٨٩٤ وما وصلت مياه الجليلية الى الدير إلاّ في سنة ١٨٩٧ وقصارى القول كان امر جلب مياه الجليلية حينئذ من المستحيلات لما كان في سبيل ذلك من الصعوبات والعقبات ولمّا تمهدت بعد ذلك بحول الله تعالى جرت المياه في مجاريها وكان جميع اهالي القرى المجاورة يتسابقون طوعاً الى معاونتنا بجلبها .

فلنعد الى موضوع محاضرتنا وقد خرجنا عنه اضطراراً الى الكلام عن المياه التي هي من ضروريات الحياة والعمران .

قلنا ان رئيس المدرسة انتخب مدبراً في المجمع الذي انعقد برئاسة البطريرك غريغوريوس يوسف في ايلول سنة ١٨٧٤ مع الاب العام سمعان نصر صديقه ونصيره وانفسح الامل امامهُ بقرب قيام مدرسة جديدة لكن خاب امله اذ نظر ان المدرسة قد فرغت بخروج البقية من الفوج الاول الى الدير في ٢٨ ايلول ورسامتهم من يد البطريرك في ٨ تشرين الثاني ومبارحته دير المخلص بدون ان يسمح باحضار الفوج الثاني اليها من دير السيدة ولا السماح ببناء المدرسة كما طلب منه ذلك الاب العام .

وسبب هذه الفترة في المدرسة بفراغها من التلاميذ هو عدم وجود عدد كافٍ من الرهبان ممن يستطيعون مداومة الدرس في المدرسة مع منع دخول

المبتدئين اليها قبل قضآء مدة الابتداء القانوني في دير السيدة فقد أباح ذلك سابقاً الزائر الرسولي المطران اغناطيوس للفوج الاول بغياب البطريرك للقلة او للضرورة بعد حوادث سنة ١٨٦٠ لكن لم يجد البطريرك ما يوجب ذلك ثانياً سنة ١٨٧٤ .

ومعلوم ان غاية الرهبانية من انشاء هذه المدرسة تعليم اولادها الرهبان فقط ولهذا يحظر على العلمانين الدخول اليها باية حجة كانت ولو كان ذلك حجة الابتدآء اذ ليس في طاقة الرهبانية ان تنشئ على نفقتها مدرسة عالية لعامة ابنآء الطائفة او لفريق منهم بدون مساعدة وما سبقها الى ذلك رهبانية في الشرق ولا في الغرب .

ولمّا علم بعض المدبرين والبعض من شيوخ الرهبان بطلب الاب العام من البطريرك الاجازة ببنآء مدرسة جديدة او توسيع المدرسة القديمة مع التفسيح للمبتدئين بالحضور الى المدرسة عارضوه بذلك وأبانوا للبطريرك الاسباب والعلل التي يقف امامها العاقل .

ولا تعجبوا ياسادتي من هذه المعارضة فان كبار العقول نظيركم لا يدهشون من كثرة المعارضات والمقاومات التي تقف بوجه المشاريع الكبيرة المفيدة اذ يعلمون ان مثل هذه المشاريع الكبيرة تحتاج الى تعاون الافراد وقد لا تنطبق شؤونها على ما يرون ويرغبون ومن ثم يعارضونها ما أمكنهم وهذه ارادة الله غالباً في تدبيره وهو لا محالة سر من اسرار عنايته ليكون النجاح في هذه الامور نتيجة حسن توفيقهِ تعالى لا نتيجة مسعانا وتدبيرنا وأزيدكم بياناً ان الذين عارضوا بقيام المدرسة حينئذ لدى البطريرك كانوا من خير الرهبان اعمالاً واعتدالاً وفوق كل تحزب وأرى انهم كانوا على حق وصواب في اسباب معارضتهم مع حسن نيتهم

ولهم ذكر جميل في تاريخ الرهبانية والمدرسة ولولا ضيق الوقت والمقام لاتيت على ذكر اساميهم واعمالهم الحسنة في هذا السبيل .

والحق أَولى ان يقال انهم كانوا يرغبون كثيراً في قيام مدرسة جديدة كبيرة تنافس اكبر المدارس التي اخذت تقوم في بيروت ولبنان بعد حوادث سنة ١٨٦٠ وانما مراعاة لحالة الرهبانية في تلك الايام لعجز ماليتها حينئذ ولرغبتهم الشديدة في المحافظة على حسن سمعة دير المخلص وعلى جمال منظره لم يكونوا يرضون ان تقام المدرسة الجديدة بالدين او على باب الدير ولا ان تكون ترقيعاً للبناء القديم بالبناء الجديد وكان يشق عليهم ان تكسف المدرسة جمال منظر دير المخلص او تسد طريقهُ او تضيق مدخله وساحة بابهِ .

وكانت الطريق الرسمية الى مدخل الدير حينئذ من الشمال اذ كان يمر في قلب الجنينة الحالية من طرف بيت المائدة الى ان يصل امام بوابة الدير الشمالية الرسمية ولم يكن حينئذ سواها وامامها ساحة واسعة وكان القادم الى الدير بطريق جون يراه يعظم في عينيهِ كلما اقترب اليهِ حتى يقف امام بابهِ الكبير واذا التفت شمالاً قبل ان يدخل امتد امامهُ مشهد رائع الجمال يتناول بلحظة واحدة قرية جون وظهرها وقرية مجدلون وقطر ماية والمغيرية الى البحر غربا وشمالا والى قرية شحيم والقريعة شرقاً وشمالا وما بين ذلك من احراش الصنوبر وغيره ومن ثم كانوا يكرهون ان تقوم المدرسة في وجهِ الدير وتسد بابهُ وطريقهُ وتحرمهم جمال هذه المناظر التي اعتادوها من اول دخولهم الدير الذي في سعة املاكهِ بجواره ما يصلح ان تقام فيهِ اكبر واجمل مدرسة ولم يكونوا يرضون لرهبانيتهم ان تكون في الرتبة الاخيرة في الشرق من حيث العلم في عصر أَخذت الافراد تتسابق

في سبيل احرازه وأخذت الطوائف والامم تتنافس بانشآء المدارس العالية في لبنان وبيروت ويشق على رهبان دير المخلص الذين كانوا دائماً من اهل السبق في العلم وفي كل محمدة ان لا تكون لهم مدرسة تنافس مدارس العصر في علومها ومعلميها ونجاح ونجابة تلاميذها وجمال موقعها وحسن هندستها وسعة دائرتها واتقان بنايتها بحيث تدل دلالة ساطعة على علو مقام الرهبانية المخلصية في الطائفة والشرق .

إلاَّ أن رئيس المدرسة والرئيس العام وفريق من الرهبان ولاسيما الشبَّان المتعلمين كانوا يرغبون في مباشرة تشيد المدرسة مهما كلف الامر متكلين على عناية الله في النفقة اللازمة وتسهيلاً لذلك راموا ان يكون العمل تدريجاً بان يباشر اولا ببنآء محل للدرس والمدارس وبيت للمائدة في الطابق الارضي مع بقاء المدرسة القديمة على قدمها للمنامة الى ان يتيسر للرهبانية ان تبني بجانبها او في مكانها طبقة جديدة واسعة للمدارس والمنامة ولغير ذلك .

وكان من هذا الفريق الخوري اسطفان صقر وكيل صيدا منذ سنة ١٨٦١ وكان رحمه الله من ذوي الاستقامة والغيرة والنشاط في خدمة مصالح الرهبانية ومن ذوي الحركة التي لا تخلو من بركة وفي كل المدة التي اقامها في صيدا الى سنة ١٨٩٥ لم تجد منه الزيارة الرسولية ولا الرئاسة العامة ولا المدبرون ولا الرهبان ولا مطران الابرشية ولا اعيان الطائفة ما يلام عليه من اعماله في سلوكه معا كان عليه من حدة الطبع بل قد نال بنشاطه وغيرته واستقامة ثقة رؤسآئه جميعاً حتى صار يعتبر حينئذ وكيل صيدا وكيل الرهبانية العام ومقام مدبر خامس وهذه الثقة جعلته محبوباً ومحترماً وجريئاً بالقول فيما يرى به الخير عند الجميع حتى لدى البطريرك نفسه .

وفوق هذا كان مرتبطاً منذ الابتداء بعهد صداقة خاص مع الغـاّم على تقوى الله والمباراة بالفضيلة والمثل الصالح وقد اتخذهما خاصته البطريرك اكليمنضوس بحوث فور انتخابه للبطريركية في ٢٠ آذار سنة ١٨٥٦ فانه أوعز الى وكيله المطران فلابيانوس الكفوري بان رسم اسطفان شمّاساً في ٢٤ آذار في كنيسـة دير المخلص ورسم هو يوسف شمّاسـاً في ٢٥ منه وسافرا معه الى بيروت ودمشق وكان يوسف كاتباً له او كاتمًا لاسراره (١) وكان اسطفان ناظراً على دار البطركية واشغالها .

لكن الارشيدياكون يوسف اضطر ان يترك دمشق وخدمة البطريرك لاشتداد المرض عليه وأوعز البطريرك اليه بالذهاب الى بلده مشغرة تبدبلاً واكتساباً للصحة (٢) فرافقه حينئذ اخوه اسطفان ولم يردْ ان يفـارقه

---

(١) استعمال لقب كاتب اسرار حديث عندنا وما هو إلا ترجمة Secrétaire وكان الكاتب لدى البطريرك يأخذ لقب أرشيدياكون رئيس الشمامسة اذا كان راهباً وبروطوديا كون أول الشمامسة اذا كان علمانياً .

(٢) وهذه صورة رسالة كتبها حينئذ البطريرك اكليمنضوس للرئيس العـام الخوري باسيليوس صيداوي وهي شهادة ذات قيمة عظيمة من البطريرك البار بتقوى كاتبه ومحبته له والاصل محفوظ عندنا بامضآء البطريرك وختمه :

حضرة ولدنا العزيز الرئيس العام الخوري باسيليوس المحترم

غب اهداكم البركة الرسولية انه من مدة شهرين وهو أن ولدنا الارشيدياكونوس يوسف غنام وقع بالمرض واستقام فيه هذه المدة كلها وان يكن كان يخرج ويدخل إلا ان جسمه وصحته لورا الى ان اخيرا ظهر شكـة على صدره ومن جرايها علق العلق واستعمل جملة ادويه ولم يزل جسمه يرجع للورا اخيرا الطبيب أظهر ارادته بأن هوا الشام لا يوافقه لان جسمه نحيف جدا ويخشى من اقامته مدة طويلة يدخل في مرض يعسر شفاه وان الاوفق له ان يبارح الشام ويتوجه الى نواحي الجبل ألا اننا نحن أخفينا عن المرقوم راي الطبيب جملة امرار ليلا يفتكر ويخاف الى ان حضر اخاه وشاهده بهذا

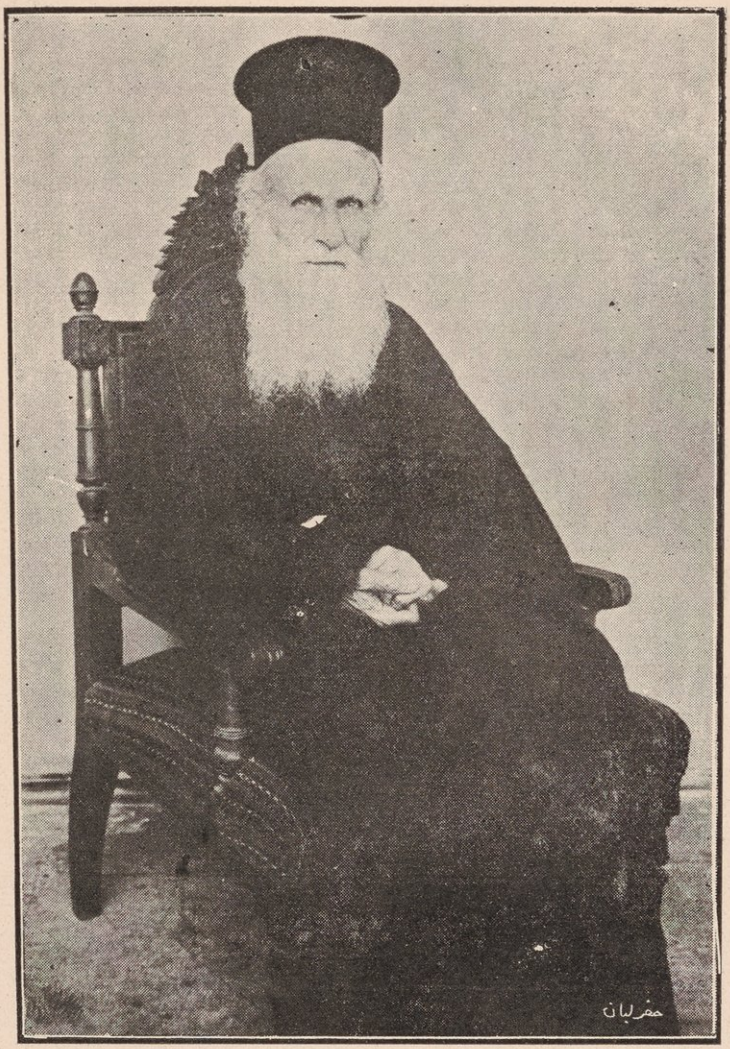

الخوري بشارة ابو مراد ب . م (صفحة ٥١)

ولبث بجواره في دير عين الجوزة الى ان كثرت الاضطرابات في لبنان والبقاع فهرب الاثنان الى زحلة وكانت تعتبر حينئذ بعد انتصاراتها السابقة على مهاجميها انها الحصن الحصين برجالها لكن ما لبثت ان وقعت باشراك اعدائها وحرقوا بيوتها وقتلوا ونهبوا ما قدر لهم وهرب من استطاع منهم الى كسروان وهكذا خرج منها يوسف واسطفان الى كسروان ومنها الى بيروت ومن بيروت الى مصر وكان قبل وقوع هذه الاضطرابات سافر البطريرك اكليمنضوس الى مصر ولمَّا حضرت جنود فرنسا الى بيروت عاد معهم اليها للاهتمام بامور المنكوبين وعاد معه فريق كبير من الذين هربوا الى مصر على نفقة الحكومة الفرنساوية وعاد معهم الشمَّاسان المذكوران فتعين حينئذ بامر الزيارة الرسولية وكيلًا في صيدا وجعل يوسف كاتباً لدى الخوري سمعان نصر الذي تعين حينئذ وكيل الرئاسة العامة في دير المخلص كما تقدم ذكر ذلك في محله وعندي دفتر حسابات دير المخلص من حين خروجه من بيروت الى صيدا ودير المخلص بخط يد الشماس يوسف الذي يعرفه الجميع باتقانه وجماله ومن ذلك الوقت أخذ يوسف على نفسه بامر

الحال فطلب الاذن ان يتوجه صحبته. وهذا هو عين مرغوبنا فنحن منحناه الاذن ليتوجه بسلام وحيث ان هوا الشام لا يوافقه فاعتمدنا على احد الاكليروس ان يكتب لنا فيقتضي ان تعرفوا المذكور ان يحضر الى ديركم ويرسل ياخذ حوايجه لانه ما عاد اقتضاء لرجوعه والمذكور ذو سيرة تقية ومثل صالح وما نظرنا منه شي يكدر خاطرنا كما اننا نرغب منكم ان تلاحظوه دايماً وتلاحظوا صحته لانه بالحقيقة راهب قانوني وتقي وبهذا كفاية والبركة الرسولية تشملكم ٢ و٣ في ٢٦ آب سنة ٥٧ بدمشق

اكليمنضوس
البطريرك الانطاكي والاسكندري
والاورشليمي وسائر المشرق

(محل الختم)

الطاعة يعلم المبتدئين والرهبان الصغار القرآءة والخط والترتيل وعلم الذمة وارتسم كاهناً في اول كانون الثاني سنة ١٨٦٣ في كنيسة الدير من يد الزائر الرسولي المطران اغناطيوس عكّاوي بعد ما ارتسم اسطفان في صيدا من يد مطرانها ثاوضوسيوس سنة ١٨٦٢ .

ولمّا انتقل المبتدئون من دير المخلص الى دير السيدة بموجب اوامر الكرسي الرسولي في ٧ ايلول سنة ١٨٦٥ مع مرشدهم او رئيسهم اخذ يذهب الى هناك لاجل تعليمهم ثلاث مرات في الاسبوع .

ولمّا أُحضر الفوج الاول من دير السيدة الى المدرسة تعين ان يكون رئيساً لهم وأن تكون إقامتهُ معهم فيها كما تقدم ذكر هذا في محلهِ ولبث مع هذا يذهب إلى دير السيدة في كل أُسبوع مرتين لاجل تعليم المبتدئين وكان في الوقت ذاته يعلم في المدرسة مبادئ الصرف والنحو والخط العربي واليوناني قرآءةً وخطاً مع البسلتيكا وترتيل الالحن بالعربي وعلى ما أذكر انه كان يعلم في يوم واحد ثلاثة صفوف بسلتيكا وكان قد ابتلاه الله من اول شبابه بمرض أليم في معدته لازمه كل حياته الى الممات كان يقاسي منه أوجاعاً شديدةً يتوجع له كل من كان يراه يتقلب على فراشه من شدتها .

وكان كثير المطالعة وحريصاً على اوقاته حتى انه قل ان يخرج كتاب ديني او أدبي او تاريخي مطبوعاً بالعربي بدون ان يطالعه وقل ان يرى وليس في يده كتاب او مسبحة للصلاة (او ماسورة دخان) وكان أنيساً بعشرته مع الجميع حتى تلاميذه وكان لطيفاً مهذباً بحديثه محفوظ اللسان لا يقول لاحد كلمة تجرحه لا بالحضرة ولا بالغيبة ولهذا كان يحترمه الجميع حتى الشيوخ والرؤساء لكن مع هذا كان شديد المراقبة على تهذيب

الخوري نقولا ابو هنا ب ـ م (صفحة ٥٧)

الرهبان وقد خصه الله بهابة نادرة وكأن الله ما خلقه إلاَّ ليكون رئيساً ومهذباً للرهبان وقد أنعم الله عليه بكلما يلزم لذلك فاني لا أزال أذكر كما لا يزال كثيرون من تلاميذه يذكرون ان ارشاداته التي كان يلقيها عرضاً باثناء القرآءة الروحية كان لها من حسن التأثير في النفوس ما هو أبلغ من تاثير مواعظ الرياضة السنوية التي اعتدناها لان هذه الارشادات لم تكن نتيجة مطالعة كتاب او كتب لخصت منها بل كانت حقيقة صادرة عن فيضان قلب صالح طافح بمواهب الروح القدس او هي كما قال الانجيل من فضلات ذلك القلب الصالح .

هذه صورة تبعيضية لاعمال وصفات ومبادي الخوري يوسف غنّام أول رئيس خاص لهذه المدرسة الذي يعتبره الجميع مجدد حياتها ومشيد أركانها ورافع منارها بحول الله تعالى وتوفيق المخلص وقد سار عليها كل مدة حياته بثبات نادر عجيب فقد كانت امراضه واوجاعه تمنعه في آخر حياته من القيام باكراً للصلاة والقداس في الكنيسة مع التلاميذ لكن لبث وهو ملازم غرفته يقضي صلاته الفرضية والعقلية وتعليم الصفوف التي كان يقدر ان يعلمها علم اللاهوت الادبي وقراءة اليوناني وأصول البسلتيكا ويرشد على انفراد من كان يكشف له ضميره وحالة نفسه .

فقد اختير مطراناً لزحلة التي هي من أكبر وأهم ابرشيات طائفتنا ورفض قبول الرسامة بعد ان تمّ انتخابه لذلك باتفاق تام معتذراً بضعف صحته وقلة علمه ثم ترشح لغيرها وللرئاسة العامة ايضاً وكان نصيبها كلها الرفض منه وعدم القبول لان الله دعاه كما قلنا لرئاسة المدرسة وتهذيب الرهبان الشبان .

قال لي مرة المرحوم الخوري اوغسطين عبد الله انتدبني البطريرك

غريغوريوس لاجمع لوائح أصوات الانتخاب لمطران زحلة من قرى البقاع سنة ١٨٧٥ بعد فراغ كرسيها بانفصال المطران امبروسيوس وقد تمّ لي في يوم وليلة جمع اصوات ثماني عشرة قرية بانتخاب الخوري يوسف ابو غنّام لم يكن اهاليها يريدون مطراناً سواه .

فهذا كان لا محالة من فضل عناية الله وحسن توفيقه الذي لا يتم أمر في هذا الكون ألاّ برضاه وارادته .

وكان مع ثباته في مباديه القويمة كامل الطاعة لرؤسائه لا يخالفهم في أمرٍ او نهي ولا يجادلهم ولا يراجعهم إلا اذا هم راجعوه بشأنه .

وقد تقدم القول سابقاً ان البطريرك الذي كان منفرداً بامر الزيارة الرسولية قد رفض السماح بدخول المبتدئين الى المدرسة ولم يسمح بهدم بناية المدرسة القديمة وانشآء مدرسة جديدة في مكانها ولا في مكان آخر مراعاة لخاطر المعارضين لذلك وللاسباب التي قدموها وكان من شأن البطريرك المذكور كما اشتهر عنه انه اذا أمر بعمل او نهى عنه لم يكن يراجعه به احد إلا عاد بالخذلان ومن ثم صار يتعذر على الاب العام ورئيس المدرسة ان يراجعاه بشأن المدرسة وتلاميذها لما فطر عليه طبعها من تمام التسليم لامر الطاعة ولاسيما مع البطريرك المذكور المشهور أمره بحزمهِ او عناده ولذلك بارح دير المخلص بعد المجمع ولم يجسر احد ان يراجعه بهذا الشأن .

واذ طال الامر على ذلك والاب العام والمدبرون في حيرة وتفكير فيه كان من حسن تدبير الله وتوفيقه ان اتفق الاب العام والمدبرون على ان يطلبوا من غبطة البطريرك المذكور الاجازة فقط بجلب المبتدئين الذين اكملوا السنة الاولى من مدة الابتدآء في دير السيدة الى المدرسة وكان البعض

منهم يكاد يكمل السنتين واما الذين لم يكملوا السنة الاولى فيبقون في الدير ومن ثم كتبوا له رسالة بخط يد المدبر الرابع أمضوها جميعهم وقد بسطوا له فيها الاسباب التي توجب ان يوسط بها سلطانه الذي له من قبل الكرسي الرسولي لخير الرهبانية واولادها جند الكنيسة الخاص . وقد تطوع لحمل هذه الرسالة الخوري اسطفان الى البطريرك وكان حينئذ في مدرسة عين تراز وتسلح في طريقه بادعية الجميع له والاتكال على المخلص وبعد يومين عاد اليه بالجواب الايجابي باجازة جلب المبتدئين الذين أكملوا السنة الاولى الى المدرسة وبذلك تمّ بتوفيق المخلص دخول الفوج الثاني الى المدرسة في ١٤ تشرين الاول سنة ١٨٧٥ بعد ان قضت سنة كانت فيها خالية خاوية .

واعرف كثيرين من هذا الفوج بذاتي واذكرهم باساميهم وهم كهنة وقد مات منهم يعقوب الشامي وابرهيم النجار وسليمان نمير ومخائيل المعاوف وانطون زيادة وبطرس نصر وباسيليوس نحّاس وجرجس نجيمة ومكاريوس الجاويش رحمهم الله جميعاً ومن الاحياء حيّاهم الله حضرة الاب الفاضل بشارة ابي مراد الذي ترون فيه الآن امامكم نسخة تامة طبق الاصل من تلاميذ الاب يوسف غنّام وكان راعيهم منذ الابتدآء في دير السيدة ولبث راعيهم في المدرسة ولمن أتى بعدهم الى سنة ١٨٩٠ وقد كان هو عين الاب غنّام الساهرة على التلاميذ اذا نام او غاب عنهم ومن الاحياء ايضاً حضرة الاب جرجس حاطوم شفاه الله والاب يوسف شلهوب في مدينة ليفورنا من ايطاليا .

وكان من معلميهم الرهبان مع الرئيس الاب اغناطيوس معقد (المطران جرمانوس) والاب رفائيل زلخف (المطران افتيميوس) ومن

العلمانيين الشيخ اسعد الخوري من رشميا وسليم الصائغ من مشغرة وخليل فرنسيس من دير القمر وحنا صاصي من صيدا وقد نجب فيهم كثيرون ونجحوا تمام النجاح في دروسهم فان الخوري سليمان نمر كان يعادل استاذه بحسن الانشاء والخطابة وكان الخوري مخائيل المعلوف وبعده الخوري جرجس نجيمة يعلمان الفلسفة واللاهوت الادبي والنظري ببراعة ونجاح .

لابدَّ انه يخطر على بالكم هنا بعض الاسئلة نحو كم سنة كان يقضي الفوج بالدرس او بالمدرسة وما هي العلوم التي كانوا يدرسونها والكتب التي كانوا يدرسون فيها او ما كان حينئذ برغرام المدرسة ؟

أجيب على ذلك جواباً اجمالياً يصح ان يتناول جميع التلاميذ من الفوج الاول من سنة ١٨٦٥ الى نحو سنة ١٨٩٥ فان الفوج كان يقيم في المدرسة نحو ست سنوات وكانوا يدرسون الصرف والنحو والشعر والبيان برغبة ونجاح في كتب الشيخ ناصيف اليازجي وكانت وقتئذ قد طبعت كلها وكذلك كانوا يتعلمون الحساب في كتاب كشف الحجاب للبستاني والمنطق والفلسفة لديفوسكي اليسوعي مخطوطاً ترجمة المطران يوسف الدبس واللاهوت النظري للاب بروني اليسوعي ترجمة المطران المذكور مطبوعاً واللاهوت الادبي تأليف القديس الفونسيوس ليكوري وتأليف الاب غوري مع مطالعة كتاب انطوان اليسوعي .

ولا ينبغي ان أهمل هنا ذكر ما امتازت به مدرستنا المخلصية من اول عهدها فانها كان لها عناية جزيلة بتعليم اللغة العربية بآدابها كلها وكانت تختار لذلك اشهر العلماء من رهبانها و من العلمانيين ولذلك كان ينجب منها وفيها كثيرون من تلاميذها اذ كانت تعتبر اللغة العربية اداةً لازمة لا بدَّ منها في الوعظ والتعليم كما تقتضي ذلك غاية الرهبانية ويجب ان

الخوري الياس الحجّار ب - م (صفحة ٦٠)

الخوري مخائيل المعلوف ب ـ م (صفحة ٦٩)

الارشيندريت باسيليوس النحّاس ب ـ م (صفحة ٧٧)

نذكر هنا بالفخر من اشتهر من أعلام معلميها وتلاميذها كالشيخ بشارة الخوري الفقيه النحوي جد رئيس الوزارة اللبنانية اليوم والشيخ ناصيف اليازجي والمطران جرمانوس معقد والمطران افتيميوس زلحف والمطران اثناسوس صبّاغ استاذنا وخلفه المطران غريغوريوس حجّار ولا يسوغ لنا اهمال ذكر حضرة استاذها الحالي شاعر الدير اللطيف المشهور اليوم الخوري نقولا ابا هنا ولا حاجة ان أقول عنه امامكم اكثر من هذا .

واما تعليم اللغة الفرنساوية فكانوا يقتصرون منها على اصولها تصريفاً ونحواً La grammaire مع حفظ بعض المخاطبات والحكايات غيباً مع ترجمتها الى سنة ١٨٩٥ اذ اخذت حينئذ تتوسع بتعليم اللغة الفرنساوية وتعليم سائر العلوم وبتعليم اللغة اليونانية واللاتينية وتعليم الفلسفة واللاهوت الادبي والنظري فيها بكل اتقان ونجاح بفضل همة رؤسائها ومعلميها من ابنآء الرهبنة كما سنذكرهم في محلهم ان شاء الله

ولنعد الى ما كنا في صدده ففي حزيران سنة ١٨٧٥ دُعي الى رومية المرحوم باسيليوس حجّار مطران حوران من البابا بيوس التاسع (١) وسافر مع

---

(١) قابل ما ورد في تاريخ الطائفة الذي نشره المرحوم شاكر البتلوني صفحة ١٧٣ وما نقله عنه الخواجا نقولا عودة في ترجمة المرحوم باسيليوس صفحة ١١ فترى بعد قوله عين الصواب قال :

وسنة ١٨٧٥ طلب الى رومية من البابا بيوس التاسع فقلده وظيفة الزيارة الرسولية على الرهبانية المخلصية بدلا من المطران اثناسيوس الخوام رئيس اساقفة صور الذي استقال قبل ذلك . فقام بأعباء هذه الوظيفة احسن قيام وبعد ان أخذ رأي غبطة العلامة الحبر السيد البطريرك غريغوريوس شريكه في الزيارة انتخب تلامذة احداثاً من الرهبان وفصلهم عن الجمهور الرهباني ورتب لهم رئيساً مع معلمين لتهذيبهم وتعليمهم محرضاً الرئيس العام على بنآء المدرسة المشهورة الآن بمدرسة دير المخلص .

البطريرك غريغوريوس الى مصر حيث أقام مدة وجيزة وذهب الى رومية وبعد ان كلمه البابا بشأن ما دعاه لاجله قلده الزيارة الرسولية على الرهبانية ليكون معاوناً للبطريرك غريغوريوس ثم عاد الى الشرق وزار اولاً دير المخلص وأعلن للرئيس العام والمدبرين أمر تفويض الزيارة الرسولية اليه بمشاركة البطريرك ووعدهم باخلاص الخدمة للرهبانية وحمايتها ورعايتها فكان اول امر عرضه عليه الاب العام للسعي به لدى البطريرك امر تجديد بناء المدرسة فوعد خيراً وباشر حالاً باسترضاء المعارضين من الرهبان حتى كتب الاب العام الى البطريرك كتابة او عريضة أمضوها جميعهم يطلبون فيها بناء محل للدرس والمدارس وبيت للمائدة في الجهة الشمالية من المدرسة القديمة مع بقاء القديم منها على قدمه وأرساوها مع الساعي الخاص او الممتاز بحسن سعيه الخوري اسطفان وقد تعهدوا بتدبير النفقة اللازمة لذلك من مساعدات الرهبان الاعتيادية في كل سنة مع المساعدات التي يقدمها فوق العادة بعض كرام الرهبان اصحاب الغيرة على قيام المدرسة الجديدة وأخذ الخوري اسطفان على نفسه ان يجمع من هذه المساعدات مبلغاً وافياً وكافياً للشروع بالبناء وان يستدين ما تضطر الحاجة اليه من الخواجات دبانة وصاصي من صيدا . وما وصل الى عين تراز إلاَّ كان الزائر الرسولي الجديد سبقه الى هناك وفاتح البطريرك بضرورة انشاء مدرسة جديدة كبيرة عالية تنطبق على حاجة العصر ومدارسه ولزوم الشروع بامر تشييدها تدريجاً بدون ان تحمل الرهبانية على كاهلها من اجل ذلك ديوناً باهظة .

ولمَّا وقف البطريرك على رسالة الاب العام والمدبرين وكلام الخوري اسطفان بهذا الشأن رأى الصواب والخير باجازة البناء والشروع به فعاد الخوري اسطفان بالجواب الايجابي فائزاً بالمرغوب الى دير المخلص وشرعوا

حالاً ببنآء القبو الكبير الى شمال البئر الكبيرة مع محل الدرس والمدارس وبيت المائدة في الطابق الارضي وبقي القديم على قدمه .

لكن بعد ما تمَّ بنآء الطابق الارضي كله هُدم الجانب الشرقي من المدرسة القديمة في الطابق العالي او الثاني وتخطط بنآء صف من الاوض هناك يبتدئ من المدرسة القديمة الى الطريق المبلغ الى باب الدير على موازاة بئر الكحيل شرقاً . وما كاد يرتفع هذا البنآء حتى صار حجاباً في وجه الدير فارتفعت حينئذ لذلك اصوات المعارضين وشكواهم للزيارة الرسولية لكن ما لبث ان استرضاهم سيادة الزائر الرسولي الجديد واسترضى البطريرك وكان رحمه الله على ما عرف به من دهاة الرجال بحسن السياسة واسترضآء النافرين والمتخاصمين وعلى ما في دفتر حساب البنآء الذي بُدئ به من أول صيام سنة ١٨٧٧ وانتهى في آخر آب سنة ١٨٨٠ أُنفق على البنآء ١٢٤٨٤٢٧ قرش عدا ما عمل قبلاً وما عمل بعد ذلك فان التلاميذ ما كانوا يرضون بالمساعدة للفعلة ساعة او ساعتين في اليوم بل كانوا يقضون بالعمل ساعات في النهار وايام في الاسبوع بجميع الاعمال التي تقتضيها هذه الورشة الكبيرة وكان باسيليوس النحّاس يحمل على ظهره الحجارة الضخمة التي كان يعجز عن حملها سواه وكان ابرهيم النجّار ناظراً على العملة ومخائيل المعلوف يوزع عليهم اجرتهم ودفتر الحساب لم يزل محفوظاً عندنا بخط يده الجميل مقيداً فيه في باب الداخل ما كان يصل الى يده لذلك من يد رئيس المدرسة والرئيس العام وكاتبه اسكندر البتلوني والوكيل العام الخوري سليمان داود ووكيل صيدا الخوري اسطفان مما كان يتبرع به او يجمعه من الرهبان او يستدينه من المرحوم يوسف دبانة او غيره .

يقول ارباب الهندسة : الفقير يبني بيته مرتين . ومرادهم بذلك كما

تعلمون ان الفقرآء لا يبنون بيوتهم غالباً بوجب أُصول الهندسة تجنباً للنفقة واذا ظهر عيب في البنآء سقط من نفسه او هدمه صاحبه واعاد بنيانه من جديد .

وقد تمَّ بعناية الله وحسن توفيقه بنآء القسم الاول من المدرسة بدون استشارة مهندس سوى مهرة البنائين المشهورين وقتئذ اذ لم يكن حينئذ في كل لبنان وسوريا إلاَّ سر مهندس الحكومة ومن أدلة ترفيقه وآيات عنايته انه لم يصب احد من الفعلة والبنائين او سواهم بضرر مطلقاً ولم يظهر في هذا العمل الكبير عيب كبير او سقط سوى التضييق على باب الدير وساحة مدخله حتى صارت هذه الساحة غير مناسبة لسعة عمرانه .

ومن النظر الى حسن بنآء هذه المدرسة وجمال هندستها واتقان اعمال البنآء ونحت حجارتها بنقوش رائعة بغاية الدقة والضبط يعجب لها كل من يراها يضطره هذا المظهر لان يقول إن اصبع الله هنا او ان يد المخلص كانت تساعد رهبانه بنوع غير منظور وهذا يحملنا على ان نقول بلا تردد ان هذه المدرسة العامرة مدرسة يسوع المخلص ما قامت وارتفعت أركانها إلاَّ بفضل عنايته وحسن توفيقه وما غايتها وغاية من عملوا على تشييدها إلاَّ نشر فضل المخلص وتمجيد اسمه بواسطة تلاميذها زادها الله بفضله نجاحاً وعمراناً وعلماً وفضلاً .

نقف الآن عند هذا الحد وقد طال بنا نفس الكلام حتى صرت أخاف ان يتولى عليكم الضجر والكسل من الاطالة مع هذا الحر فان شآء الله سنتم حديثنا عن تاريخها في محاضرة أُخرى ودمتم جميعاً بنعمة المخلص وفضله .

المطران اثناسيوس الصبّاغ (صفحة ٧٢)

عند نهاية هذه المحاضرة قام حضرة الاب الفاضل الخوري نقولا ابي هنا استاذ البيان والخطابة في المدرسة المذكورة وشاعر الدير والرهبان اللطيف وأنشد هذه الابيات الشائقة التي تدل على حبه لهذه المدرسة التي تفتخر به فلم يكن لنا بد من نشرها هنا بياناً لفضله وشاعريته :

محاضراتك قد طابت معانيها كأنها روضةٌ طابت مجانيها

جلوتَ غامض تاريخ لمدرسة
عزيزة كلنا بالنفس نفديها

منارة في بلاد الشرق مرسلةٌ
انوارها بين دانيها وقاصيها

منشا الرجال رجال الدين عن ثقة
منشا المعارف تركو في مغانيها

خَطَتْ من العمر قرناً وهي زاهرةٌ
بالدين والعلم ترهو في مراقيها

وأصبحت جنَّةً غنآءَ طيّبةً
علم الفضائل يجري كوثراً فيها

تأبى الفخار فإن تأخذْ بهِ فلَها ما يزدهيها بقسطنطينها تيها

محاضرة رابعة أُلقيت في ٢٠ ايار سنة ١٩٢٨

بلغ بنا الكلام في محاضرتنا السابقة في تاريخ هذه المدرسة العامرة الى قيام البنآء الجديد فيها اي قيام الطابق الارضي كله مع بنآء القسم الجنوبي من الطابق العلوي وقسم من الكنيسة الى ما فوق الباب والشبابيك بعون الله تعالى وفضل المخلص ورهبانه .

ومما يجب ذكره هنا زيارة المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي لدير المخلص والمدرسة سنة ١٨٧٩ ونظم حينئذ في شعر تاريخاً لها يرى على بابها وهو :

هذا مقام للمعارف قد غدا ببهآءِ انوار المخلص مشرقا
وافى مؤرخه فخطَّ ببابهِ قد لاح صبح العلم في فلك التقى

سنة ١٨٧٦

وكذلك نظم تاريخاً لكنيستها وهو قوله :

بيتٌ لسيدة البشارة شاده رهبان دير للمخلص ينتمي
فأهتف بتاريخٍ تحيِّيها بهِ وأهدِ البشارةَ والسلامَ لمريم

سنة ١٨٧٩

واذ تم هذا البنآء سنة ١٨٨١ وصارت المدرسة صالحة للسكن أُحضر اليها من دير السيدة الفوج الثالث وكان كل افراده رهباناً ليس فيهم مبتدي لانه لسبب قيام العمل بالبنآء الجديد مع هدم قسم من البنآء القديم لم يكن لهم فيها محل للسكن مع الفوج الثاني فأوجب هذا الامر ان

الخوري سليمان غيرب ـ م (صفحة ٧٣)

يبقوا في دير السيدة مدة طويلة بعد ان نذروا نذورهم الرهبانية فيه وكانوا يدرسون هناك الصرف والنحو والحساب واصول اللغة الفرنساوية حتى انه ما صدر لهم امر الطاعة بالحضور الى المدرسة الأ كانوا قد أتموا درس كتاب فصل الخطاب وارجوزة الصرف وشرعوا بدرس ارجوزة النحو .

وكان من هذا الفوج من الاحياء الآن حيّاهم الله ممن نعرفهم الخوري مخائيل زيدان والارشيمندريتين الافاضل بطرس خرياطي واغناطيوس جمّال وحنا ابو حديد ومن الاموات رحمهم الله الاخ جرجي صبّاغ الذي صار مطراناً على عكّا باسم اثناسيوس والارشيمندريت جبرائيل نبعة واغناطيوس خرياطي .

واذ أتمّ تلاميذ الفوج الثاني دروسهم سنة ١٨٨٢ رسمهم شمامسة الزائر الرسولي المطران باسيليوس حجّار في ٢٦ آذار في مصلى المدرسة الذي كان حينئذ في اول الطابق الارضي الى يمين الداخل من الباب الشرقي بعد ان احتفل في اليوم السابق بعيد البشارة في كنيسة الدير ورسم بعض الكهنة

وعند انتهاء السنة المدرسية خرجوا من المدرسة الى دير المخلص والى جهات مختلفة للرسالة حيث ارتسموا كهنة من مطارنة الابرشيّات التي ذهبوا اليها بموجب الاعلام القانوني من الاب العام كالعادة الجارية منذ القديم في الرهبانية والذين لبثوا في الدير منهم رسمهم البطريرك غريغوريوس في ٢٢ تشرين الاول في كنيسة دير النبي الياس في رشميا اذ كان يومئذ في مدرسة عين تراز بجوار الدير المذكور

وفي اول ايلول سنة ١٨٨٣ انعقد المجمع الرهباني العام برئاسة الزائر الرسولي المطران باسيليوس حجّار وانتخب فيه رئيساً عاماً الخوري الياس حجار وكيل الرهبانية والبطريرك في رومية وانتخب معه مدبرين الخوري

يوحنا كحيل والخوري سمعان نصر والخوري اكليمنضوس عيسى السكاف والخوري ابرهيم مارينا وبقي الخوري يوسف غنّام رئيساً للمدرسة ولسبب وجود الاب العام المذكور في رومية تعين حسب العادة والقانون نائب الرئاسة العامة المدبر الاول الخوري يوحنا كحيل الى حين حضوره وتبلغ انتخابه واستدعي للحضور الى الدير تلغرافيًا من قبل الزيارة والمدبرين فاستعفى من قبول ذلك لتواضعهِ معتذرًا بعدم كفاءتهِ ملتجئاً بذلك الى البطريرك رئيس الزيارة الذي كان له دالة كبيرة لديه منذ اول ايامهما في الرهبانية وذلك برسالة في ٤ ايلول فاجابه البطرك عليها في ١٦ منه وقد رفض عليه الاستقالة وحثه بها على سرعة الحضور الى الدير واتمام واجب الطاعة والخدمة الواجبة للرهبانية وقد وجدت هذه الرسالة البطريركية بين اوراقه رحمه الله بامضآء البطريرك وختمه وهذا نصها :

لحضرة ولدنا العزيز الخوري الياس حجّار اب عام ب م الجزيل الاكرام
السلام والبركة الرسولية

اليوم وصل كتابكم العزيز رقم ٤ الجاري. نحن قد استدركنا مفعول تواضعكم ولهذا رفضنا مسبقاً استعفاكم فجاوبناكم في وقته تلغرافيًا وذكرناكم بلزوم الطاعة المقدسة التي مـا حدتم عنها بحياتكم ولم نكن نظن انكم الآن تحيدون عنها في امر كلي الاهمية. واما الاسباب التي ذكرتموها توطئةً لاقالتكم من الرياسة العامة فهي غير مقبولة. ان كنتم قاصرين عن خدمة الرياسة العامة فالله ونحن قدامكم لنأخذ بناصركم ونوتيكم المساعدة اللازمة ان صار اقتضآء. على اننا لانسلم بعدم اهليتكم فقد أنتخبتم باستحقاق واهلية. كلوا امركم لله وقوموا حالاً الى مركزكم حيثما يستنظركم قضآء الواجب وكما افدناكم سابقاً اعملوا جهدكم بالاستقصآء عن احول

المطران غريغوريوس حجار (صفحة ٧٣)

الارشيمندريت بطرس خرياطي ب ـ م (صفحة ٧٤)

الكورنتنا على هذا القطر حتى اذا لم يبق محذور وافيتم الينا في هذه القاهرة لنراكم فإننا بشوق لذلك وهوذا اخونا الموقر كير حوران لم يزل في العامر الى وقت وصولكم والبركة الرسولية تشملكم تكراراً

في ١٢ ايلول سنة ١٨٨٣ بالقاهرة

غريغوريوس

(محل الختم) البطريرك الانطاكي والاسكندري والاورشليمي الخ

وبعد مراجعته بذلك الكردينال سيميوني رئيس مجمع انتشار الايمان بدون جدوى تجهز للسفر واحضر معه اشياءً كثيرة للدير والمدرسة والرهبان من ذخائر وصور وصلبان وقماش بدلات واصواف ومن ذلك تاج الرئاسة العامة وصفيحة النحاس لواجهة المذبح الكبير لكنيسة الدير وحقين من الذخائر المقدسة وضع احدهما في كنيسة الدير والثانية في كنيسة المدرسة مع الصليب الكبير للزياحات ومرّ بطريقه على مصر لمقابلة البطريرك الذي ابقاه الى عيد الفصح . وبعد ذلك قام الى الدير واول قداس اقامه في كنيسته قداس الاحد الجديد .

ان هذا الاب الفاضل الصالح كان — على ما عرفته بذاتي معرفة تامة — صورة حية للكمال الرهباني او صورة تامة للرهبان الاولين بتقواه وحبه للرهبانية وغيرته على نموها وشرف اولادها ومن اعماله في دير المخلص علاوة على السعة التي شمل بها الرهبان والزوار في ايام رئاسته العامة انشاء المذابح الصغيرة بعواميدها وقببها من الرخام اثنين في داخل الهيكل واثنين خارج الخورص وبناء السكرستيا الكبيرة بمنجورها والكمنتير الغربي وتجديد بناء دار الضيوف المعروفة بدار البكتي (التي كان قد شيدها اولاً المرحوم الخوري تيموثاوس البكتي الذي كان كاهن الامير بشير الكبير في

بيت الدين حاكم لبنان)

واما المدرسة فانه اول ما فعل من الخير فيها انه البس جميع التلاميذ فيها والمعلمين صاكات من الصوف التيبت علاوة على الجبب التي قدمها للرئيس والمعلمين اسوة بجميع الرهبان ثم أنجز بناء الكنيسة بعقد سقفها وجاب الرخام لبلاط ارضها ومذبحها وهو اول من أمر بتعميم وجوب درس اليونانية بين تلاميذها وأحضر من فرنسا الكتب اللازمة لذلك وعين المرحوم الخوري جبرائيل ناصر تلميذ مدرسة القديس اثناسيوس في رومية معلماً وكان شديد العناية لنجاح التلاميذ بتعلم هذه اللغة الشريفة المقدسة باناجيل الله واقوال الآباء القديسين وصلواتنا الطقسية فيها حتى انه اذ بلغه ذات يوم ان احد التلاميذ الكبار الذي كان يدرس اللاهوت والفلسفة طلب ونال من رئيس المدرسة الاعفاء من درس اليونانية نزل الاب العام المذكور من الدير وحضر الى المدرسة اليونانية ليرى بعينه من يحضر ومن يغيب ومن يجتهد في درسها وأنب حينئذ من كان يتغيب ولو باذن رئيس المدرسة .

وكان درس اليونانية من قبل محصوراً بذوي الاصوات الحسنة الذين يدرسون البسلتيكا فكان يبدأ الدارس بتعلم مبادئ القراءة في كراس الافافيتا ثم تعلم الطروباريات في كتاب الاكتوخوس والسواعي والاراميس في كتاب الارمولوجيون قراءةً ثم غيباً ثم كتاب مبادي البسلتيكا في كتاب السلالم لكن شرح قواعده كان يعطى شفاهاً بالعربي مقروناً بالممارسة والتمرين العملي .

وبالتالي يجب ان نقول ان المرحوم الخوري الياس حجّار كان من افضل واكرم الرهبان المساعدين على تشييد المدرسة ونجاح تلاميذها باكتساب

الارشيمندريت جبرائيل نبعة ب ـ م (صفحة ٧٤)

المعارف والتقوى فانه كان يعلم فيها اللاهوت الادبي والاجرومية كما قدمنا منذ سنة ١٨٥٥ الى ما بعد سنة ١٨٦٦ وعند المباشرة بالبنآء الجديد ارسل الى الاب العام تسعين ليرا فرنساوية اربعين منها برسم المدرسة التي كانت تتعمر جديداً والخمسين الباقية حسنة مائتين قداساً ومساعدة لمصروف الدير وكان من مخلفاته بعد موته رحمه الله سنة ١٩٠١ نحو الف ليرا مصرية ونيف صرفت في سبيل تمام البنآء الجديد لقيام هذه القاعة وجميع الاوض الغربية والشرقية والمكتبة وبيوت المنامة

ربما تقولون لي كما قال سواكم : من اين له هذا المال كله لهذه الاعمال أُجيب اولا بقول المثل الشائع الخير مرزوق ثانياً كان رحمه الله على قدر حسناته مع كرمه على الرهبانية والرهبان والفقرآء يحسن تدبير اعماله بحسن الاقتصاد والتوفير حتى يصح ان يقال عنه انه كان بخيلاً جداً على نفسه وعلى ما أعلم انه كان وهو رئيس عام يكتب كل عام لجميع الرهبان يطلب منهم مساعدة مالية لامهم الرهبانية والذي لم يكن يجاوبه منهم بالايجاب كان يوبخه بقوله له : بماذا نفعت امك وبماذا ساعدتها ولايزيد على ذلك وكانت هذه العبارة منه كافية مع اعماله ومثله لنيل المطلوب وعندي من الرسائل منه واليه ومن نوادر اعماله بهذا الشأن ما لايسعني ذكره واكتفي بذكر واحدة منها مع الخوري باسيليوس نحاس فاذ عاد الى الدير من الرسالة في عكا سنة ١٨٨٥ بعد رسامته كاهناً فيها سنة ١٨٨٢ لم يتوفر لديه ما يمكنه ان يقدمه مساعدة للاب العام فخشي على نفسه من توبيخه وكان كما يعرفهُ كثيرون رقيق الاحساس ولا يحب المال فالتجأ الى المرحوم الخوري يوسف عبسي الوكيل العام حينئذ باكياً ليشفع بهِ عند الاب العام حتى لا يغضب عليه

وبعد هذا اسمعوا تلاوة شيءٍ من رسالته الى الاب العام كتبها له بعد

ارساله التسعين ليرا وهي لا شك موعظة بليغة لبعض الاخوان الذين في الرسالة ولاسيما الذين في اميركا قد نسوا واجباتهم نحو امهم الرهبانية ونحو اخوانهم الرهبان الصغار والعجز ونحو هذ المدرسة التي رضعوا من صدرها حليب العلم وتربوا فيها وصاروا رجالاً وكهنة قال بعد مقدمة السلام والاحترام والافادة عن وصول جواباته :

« اولاً وقبل كل شيء كابن خصيص وكمرؤوس مطيع اقدم المتوجب من المعايدة بهذه السنة الجديدة والمواسم العظيمة لاسيما عيد مؤسسنا العظيم وأخصه في عيد سميكم القديس سمعان الشيخ الواقع في ٢ شباط هاتفاً نحوكم كل عام وابويتكم باوفر الانعام تحيون لامثالها بالسرور متجلببين ثوبي البهجة والحبور انشا الله يعاد عليكم اعواماً مديدة مقرونة بكمال الصحة وتكونون من طويلي الاعمار ويجعلكم ويخليكم ركناً متيناً لهذه الرهبنة .

ثانياً اما عن ضيق هذه السنة فهذا شي فايق حتى انه هنا بنفس رومية عمال يموت يومياً من الجوع وشدة البرد نحو ٨٠ نفر فضلاً عن الالوف الذين ينامون من دون اكل اما الذين بالخارج اي في بلاد الفلاحين فهذا شي نسكت عنه لان هنا الفلاحين بفقر شديد لايوصف فنشكر الله . عندنا اظن مهما حصل جوع لايتصل لهذا الحد حتى يموت اناس من الجوع .

ثالثاً اما قولكم ان نرسل الجاهز من املاك الرهبنة فياسيدي انا ما كنت أظن ان ابوتكم تجاوبوني هكذا بل كنت اتامل انكم اولاً تعرفوني عن الوصول وتسلوني ولو بالضحك عليّ بكم كلمة ثم بمكتوب آخر تطلبون الجاهز ولكن كل شي مقبول منكم انما اعلموا كما اخبرتكم سابقاً ان املاك الرهبنة البيت الواحد حيث ليس له ثمرة بما اخذه القس بطرس

الايكونوموس انطون زياده ب ـ م (صفحة ٧٦)

الشامي حتى وفى مال الميرة وارسل لكم الباقي لان هنا الذي يقصر في دفع مال الميرة يبيعوه بيته ليوفي . والبيت الذي نحن فيه بثلاث أوض والذين كانوا مع سالفنا اثنين للنوم والاخرى للاكل هذا جميعه والباقي مؤجرينه وليس دائماً يكون مؤجراً كله ولكن العمارات وقلة الاسباب وضيق الوقت نزلت الاجارات ومال الميرة زاد ثلاث اضعاف وكنا ندفع خمسماية فرنك فصرنا ندفع الف وخمسماية فرنك ولا نعلم ان كانت تزيد بهذه السنة . ابويتكم ظنتم من ارسالي التسعين ليرا لكم من مدخول البيت وان من فضلة ما عندنا ارسلنا والحال الامر ليس كذلك بل من نظرنا الضيق هنا وشرح سيادة الزائر عن حال المدرسة ارسلنا كلما نملكه والاربعين ليرا للمدرسة من مدخول خورنيتنا من مصر . تفتكرون اننا ربما نعيش عيشة واسعة كلا ثم كلاً لسنا كغيرنا بل نحن بفقر كلي لانه مع وجود شدة البرد الذي نقاسيه حيث الاوض على البلاط لم يكن لنا ان نفرشها اتقي ذواتنا البرد حتى لما شرف سيادة الزائر لم يجد عندنا فرشة فائضة ينام عليها بل التزمت ان انام على الارض متغطياً بجوانحي حيث كان صيفاً . واذهب في البرد والثلج لاقدس بفرنك يصفي اربع غروش . ولما نقلي نقسم البصلة على مرتين ثلثة لانها تسوى ثلثين فضة . فان كانت البصلة تسوى ثلثين فضة فمن ذلك نتجوا باقي الاشيآ . ولا عندنا احد ولانحن ساكنين مع عيلة ولا واضعين أفوكاتو لشغلنا كخلافنا بل نعمل كل شي بذاتنا ونمشي على رجلينا ايام كثيرة مثل الدير وصيدا لا نذوق طبيخ الرز إلاَّ مرة واحدة بالجمعة . فاسمعوا عيشتنا كيف هي اننا نجيب وقيتين لحم بقر ونسلقهم في النهار نفت الخبز بالمرقة وما يبقى ناكله عشية ويوم الاربعا والجمعة وقية عدس بخمسين فضة نضع بهم قليل من البصل وعليهم قليل

من الزيت النيء وعشية ناكل اما شوية صلطة او حتة جبنة او بيضة وذلك لاجل التوفير . اي نعم ان وقيتين لحم ثمنهم فرنكين ونصف ولكن نظرنا ذلك اوفر جداً . اما سيرتنا فهي بعد ان نقدس فان كان شغل يخصنا ام يخص طوباويته نقضيه ونرجع للبيت نقرا الكتاب المقدس واستعداد الموت ورودريكوس ورياضة الراهبة واباطيل العالم وهلم جرا فهذه هي عيشتنا وسيرتنا بلا لوم امام الناس فلسنا بنعيم بل اقدر اقول بسجن دائم غريب اللغة والوطن ليس لي مسلي ولا اصرف قيراط ما يصرف باقي الوكلا الذين هنا من اكل ام ملبوس لانه فضلاً عن انه يأتيهم كل شي من الشرق مثل بيض وحلاويات وبن لحد البرغل فمع ذلك لا نصرف نصفهم وطلبت القس داميانوس لا لاجل زيادة المصروف بل لاجل اذا صابني شي بالليل يكون موجود واحد يحلني لانه ان لم يكن موجوداً فكنت التزم ان اجول بالقهاوي والبيوت ويصير المصروف اكثر ويسرق البيت كما جرى لاسلافي فضلاً عن الكلام علينا ولاسيما في هذه الايام . . . بل ياليت يعطى لنا الطبيخ الذي يكب للدجاج بالعامر لكنا نأكله بطيبة خاطر ونشكر الله . ليس لي احد اعطيه ولا اريد ان اجمع لاني زهدت بالدنيا وليس لي فكرة سوى الاخرة فكونوا براحة بال من قبل مداخيل الرهبنة هي محفوظة بكل امن وياليت باقي اولادها كذلك فنحن نوفر لا لكي نبيض وجهنا معكم فقط بل لكي نوفي اقله ثمن الماء الذي شربناه من بير قزما . . . »

ولنعد الى تاريخ المدرسة بعد ان خرجنا قليلاً عنه بذكر اعمال هذا الاب الفاضل المتفضل كثيراً عليها

وبعد انعقاد المجمع السابق ذكره أُحضر من دير السيدة الفوج الرابع

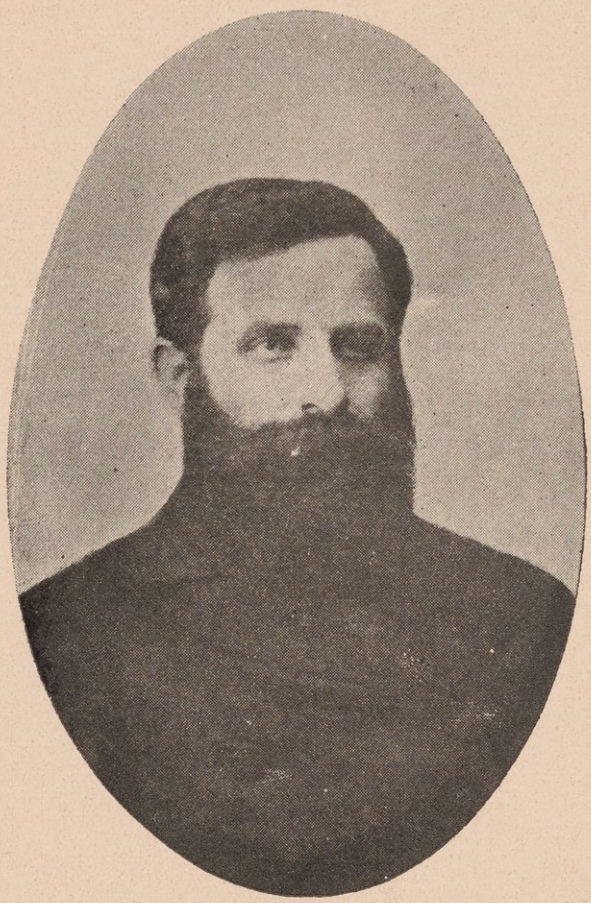

الارشيمندريت يوسف صابونجي ب ـ م (صفحة ٧٧)

وفيه رهبـان ومبتدئون وكان الاول والاكبر فيهم الاخ لاون المعلوف الذي هو اليوم سيادة المطران اكليمنضوس والاصغر فيهم الاخ روفائيل ابو مراد الذي هو اليوم سيادة المطران بولس وكان معهم من الاحياء اليوم حيّاهم الله افتيميوس فرنسيس ومخائيل الناشف ومكاريوس غندور

وسنة ١٨٨٥ أُحضر الفوج الخامس وكان الاول والاكبر فيه بالرهبانية الاخ كيرلس ناهض بل كان وحده راهباً وكان الاصغر في الابتداء الاخ بولس داغر لكنه كان الاكبر سناً ولذلك كنا ندعوه من باب المداعبة بالاختيار وكان الاصغر فينا سناً الاخ بشارة حجار ولم يكن صغر سنه يجيز له ان يلبس ثوب الابتداء والشاشة السوداء وهو كما تعلمون سيادة المطران غريغوريوس حجار وكان مجموع هذا الفوج ثمانية عشر تلميذاً وفيهم اخوكم الذي يخاطبكم ويشكر الله تعالى لحفظه معكم وانتسابه الى المخلص واليكم ومن رفاقي الاحياء حيّاهم الله وحفظهم الى عمر مديد عدا من ذكرت الخوري يعقوب الطرابلسي والخوري ديمتري قصرملي وقد توفى الله كثيرين منهم رحمهم الله وآخرهم الخوري مرتينوس جدعون

وفي اول ايار سنة ١٨٨٦ زار دير المخلص لاول مرة المطران جرمانوس معقد بعد رسامته مطراناً على بعلبك في ١٤ آذار سنة ١٨٨٦ وهو كما تعلمون من ابناء هذه الرهبانية ومن خريجي هذه المدرسة ومعلميها النابغين فاراد الاب العام ان يكمل افراح الرهبان بزيارته ورسامته برسامة تلاميذ المدرسة شمامسة وكهنة من يده ومن ثم باذن الزيارة رسمهم في كنيسة دير المخلص شمامسة يوم السبت الواقع في ٨ ايار ويوم الاحد في ٩ منه رسمهم كهنة .

ويوم عيد العنصرة في ١٣ حزيران من هذه السنة ارتسم مطراناً على

صور رفيقه تلميذاً ومعلماً في هذه المدرسة المرحوم المطران افتيميوس زلحف وفي زيارته الاولى لدير المخلص بعد رسامته طلب كهنة من تلاميذ المدرسة وحسب طلبه ارسل اليه ثلاثة منهم وهم اغناطيوس وبطرس خرياطي وفلابيانوس مطران وقد قضى الثلاثة المذكورن هناك عدة سنين باتحاد المحبة والرصانة والغيرة والثبات والتقوى حتى لا يذكر واحد منهم في صور الا بالمديح والاحترام الواجب لكل فضيلة وانتم تعلمون ان المرحوم الخوري اغناطيوس قضى حياته الكهنوتية كلها في صور إلاّ مدة ما كان وكيلاً للرهبانية في الاسكندرية

وفي ايلول من سنة ١٨٨٦ انعقد المجمع الرهباني العام برئاسة الزائر الرسولي المطران باسيليوس حجار وانتخب رئيساً عاماً الخوري يوحنا كحيل للمرة الرابعة ومدبرين معه الخوري سمعان نصر والخوري مخائيل البركس والخوري ابرهيم مارينا والخوري ابرهيم انطونيوس وكانت العادة الجارية من قبل في الرهبانية ان الرئيس العام اذا لم يتجدد له الانتخاب للرئاسة العامة ينتخب مدبراً اولاً او ثانياً حتى يكون على اتصال مع هيئة الادارة الجديدة ويكون لهم خير دليل في ادارة امور الرهبانية والرهبان بعد ان احاط بذلك علماً وخبرة في مدة رئاسته السابقة لكن قضي حينئذ ظلماً على الخوري الياس ولم يكن له ذنب إلا وقوفه بوجه المطران باسيليوس لخير الرهبانية وصالحها العام بحجة كونه زائراً رسولياً (مع حبه للرهبانية وغيرته على صالحها) فكان يريد ان تكون كلمتهُ فوق كل قانون وسلطة. وما اكثر منافع الزيارة الرسولية للرهبانية لولا مثل هذه النفسانيات في الزوار لان الزيارة كما تعلمون من اجلّ عناية الكرسي الرسولي بالرهبانيات واكبر دليل على اهتمامه بها وحبه لها كما ان اهمال امر تدبيرها يدل على

استخفافه بشأنها وعدم مبالاته بها

ومما اسفنا لوقوعه في هذا المجمع استقالة الخوري يوسف غنّام من رئاسة المدرسة بعد ان قضى فيها نحو عشرين سنة كان لها ولتلاميذها اباً وأماً وبايعازه تعين مكانه المرحوم مخائيل المعلوف وكيله السابق فيها وانتقل الخوري يوسف الى الدير

وكان يعلم فيه وفي المدرسة اللاهوت الادبي واصول البسلتيكا وبقي الخوري بشارة الراعي الصالح فيها . وسنة ١٨٨٧ أُحضر من دير السيدة باذن الزيارة الفوج السادس وكان كل افراده مبتدئين ليس فيهم راهب وكان فيهم شبان كبار وفتيان صغار نجباء وكان في عدادهم الاخ لاونديوس الاشقر الذي هو اليوم سيادة الارشيمندريت نقولا الاشقر الرئيس العام سابقاً والاخ قزما الخرياطي الذي هو اليوم سيادة الارشيمندريت اندراوس الخرياطي المدبر الاول والاخ حنانيا المعراوي والاخ اغناطيوس رزق وكلاهما من ذوي الاصوات الممتازة والاخ ثاوذوروس السكاف الذي هو اليوم الخوري يوحنا السكاف وكان حينئذ كما ترونه اليوم خفيف الدم ويسرد علينا غيباً اشعار الفية ابن مالك وقسماً من وقائع تليماك بالفرنساوي وكان يقرأ امامنا السرياني بسهولة كانه سرياني او موراني وكان معه رفيقه الاخ يوسف حجار الذي هو اليوم سيادة الاكسرخوس ملاتيوس حجار واذ كانا قد نالا قسطاً من علم الصرف والنحو والفرنساوي في مدرسة جزين الحقا بفوجنا وصارا معنا بالدرس في صف واحد

وكان من افراد هذا الفوج الاخ النجيب اغابيوس عطايا وابرهيم يواكيم وبطرس سالم وخليل الحايك واغناطيوس جبارة من الممتازين اليوم في اميركا بالغيرة على الام الرهبانية والطائفة العزيزة

وقد كان من قبلُ افراد الفوج الواحد يسيرون في الدرس في صف واحد منذ دخولهم الى خروجهم لكن في هذا الفوج دخل بعض افراد معنا وساروا في صف واحد معنا ثم بعد مدة تألف منه ومن فوجنا صف لدرس اللاهوت الادبي بعد نهاية درس الصرف والنحو في فصل الخطاب والارجوزة

وينبغي ان نقول هنا كلمة لا بدَّ منها وهي ان المدرسة لم تكن في تلك الايام على ما هي عليه الآن من سعة العيش وزيادة عناية الرهبانية براحة اولادها وكثرة معلميها الممتازين بسعة مداركهم ومعارفهم علاوة عن سعة وغنى مكتبتها باصناف الكتب بكل العلوم واللغات التي تدرس فيها ولاسيما تنظيم صفوفها

ثم كانت العادة من قبل ان بعض التلاميذ الممتازين بنجاحهم من ذوي الصفوف العالية يعلمون اخوانهم الصغار فان الاخ جرجي صبّاغ من الفوج الثالث كان يعلم ارجوزة النحو للاخوة ذوي الفوج الرابع وكذلك كان رفيقه الاخ جبرائيل نبعة يعلمنا فصل الخطاب وكانا كلاهما يدرسان حينئذ اللاهوت والفلسفة وكذلك انا علمت وانا اخ وتلميذ اكثر من سنة في هذه المدرسة واسباب ذلك لا تخفى على البصير العارف باحوال الرهبانية وضيق ذات يدها بالمالية

واذ عاد المرحوم الخوري يوحنا الكحيل الى الرئاسة العامة كما تقدم سعى السعي الحميد وبذل جهده بان يزيل عن نفسه ما كان يتهمه به البعض من انه لا يريد نجاح المدرسة فاحضر اليها بعض المعلمين العلمانيين من لبنانيين وافرنج ليدرسوا فيها الفرنساوية بادابها وبعض العلوم كالجغرافيا والتاريخ والفلسفة لكن لم تستقم الحال معهم اذ لم ترق لهم العيشة في الدير بعيدين عن العالم وما فيه من الاهل والطيبات التي توجد في المدن الكبيرة

الارشيمندريت باسيليوس شحاده ب ـ م (صفحة ٧٨)

الزاهرة ولهذا السبب قل نجاح التلاميذ على يدهم ولم يكن سبيل لتقدمهم ونجاحهم الاَّ على يد معلمين من ابنآء الرهبانية الذين تخرجوا فيها وفي مدارس رومية والصلاحية ويذكرنا هذا بما قاله السيد له المجد عن الراعي الاجير وصاحب الخراف . . . .

وفي اول شباط سنة ١٨٨٩ انتقل الاب العام المذكور بسكتة دماغية بعد نصف الليل وكان عنده في تلك الليلة رئيس المدرسة ومعلموها وقد دعاهم اليه لاجل الاهتمام بشأن المدرسة ومن ثم اسف عليه اسفاً شديداً جميع الرهبان والراهبات والتلاميذ واهل الجوار ولاسيما الفقرآء لما كان عليه من التقوى والغيرة وسداد الرأي والرغبة في صنع الخير والاحسان للفقرآء

وفي اول ايلول من هذه السنة انعقد المجمع العام كالعادة برئاسة الزائر الرسولي المطران باسيليوس حجار وانتخب باشارته رئيساً عاماً الخوري غريغوريوس نعمة ومدبرين معه الخوري سمعان نصر والخوري متري قزح والخوري مكاريوس الشامي والخوري ابرهيم مارينا واعيد الخوري يوسف غنام الى رئاسة المدرسة وكان الرئيس العام مشهوراً بجسارتهِ على مقابلة الحكام وقوة عارضتهِ بالخطابة والوعظ والخبرة في حل المشاكل وتدبير الامور لكن لم يكن يبالي بالمدرسة كثيراً وكان المرحوم الخوري يوسف غنام قد شاخ وأضعفه المرض كثيراً فضعفت كلمته وكان من دأبهِ كما قلت سابقاً صبوراً لا يعارض امر الرؤسآء ولهذا اختل نظام المدرسة وقلَّ نجاح تلاميذها وكثر تذمرهم وصاروا يطلبون الخروج منها وقد اعيا امر ذلك راعيها الصالح الخوري بشارة فطلب اقالته من وظيفته والصعود الى الدير فكان له ذلك بعد مراجعات جمة

وفي سنة ١٨٩١ أتي من دير السيدة الى المدرسة بعد خروج فوجنا

منها بفوج كان فيه الاخوة المبتدئون الذين هم الان الاباء الافاضل بشارة شلهوب والياس صالح وسيادة الارشيمندريت باسيليوس شحادة الرئيس العام سابقاً وانطونيوس نعمة وبشارة الغفري وبشارة خياطة وافتيميوس عيسى وفيلبوس زبدة ومخائيل قادري والمرحوم اثناسيوس بواب وغيرهم

ولسبب ما تقدمت الاشارة اليه انقسم هذا الفوج الى صفين صف منهم بعد فصل الخطاب درس افراده اللاهوت الادبي وخرجوا الى الدير سنة ١٨٩٣ . والصف الاخر واصل افراده دروسهم كالعادة الى ان خرجوا وارتسموا شمامسة وكهنة سنة ١٨٩٥ إلاَّ ان الاخ بشارة شلهوب لصغر سنه ولعدم رغبته في الخروج من المدرسة جُعل مع الفوج التالي الذي دخل جديداً الى المدرسة سنة ١٨٩٣ ومعه الاخ زخريا شحادة

وفي اول ايلول سنة ١٨٩٢ انعقد المجمع الرهباني العام كالعادة برئاسة الزائر الرسولي المطران باسيليوس وانتخب رئيساً عاماً الخوري اثناسيوس صباغ السابق وانتخب معه مدبرين الخوري الياس حجّار والخوري انطون زيادة والخوري مخائيل معلوف والخوري بطرس نحاس واذ رفض الخوري الياس قبول المدبرية وطلب من البطريرك اقالته منها معتذراً بضعف جسمه وشيخوخته قبل طلبه وتعين مكانه وكيلاً عنه الخوري جرجس نجيمة احد معلمي المدرسة وخريجيها فكان للمدرسة وتلاميذها فرح عظيم بانتخاب الاب العام وثلاثة من المدبرين وبيدهم الوكالة العامة من تلاميذها الذين يرغبون نجاحها ويميلون الى عمارها . ومن هذا المجمع بدأت سلسة الرؤساء العامين من خريجي المدرسة

فطلب حينئذ الخوري يوسف من الاب العام اقالته من رئاسة المدرسة لشيخوخته وضعف جسمه بمرضه فلم يقبل طلبه حينئذ وأخذ مع الاباء

الارشيمندريت اغابيوس نعوم ب.م (صفحة ٧٨)

المدبرين يسترضونه ويبذلون العناية بمعالجتهِ والاهتمام براحته لما له من الفضل السابق عليهم بتربيتهم الرهبانية والعلمية وحتى يتيسر لهم اختيار رئيس توفرت فيه سعة العلم والتقوى والغيرة والنباهة

وفي شهر ايلول سنة ١٨٩٣ عينوا رئيساً الخوري سليمان زينة نمير رئيس انطوش يافا حينئذ وكان من نجباء تلاميذ هذه المدرسة وقد أحرز في يافا سمعة حسنة بمواعظهِ التي كان يلقيها هناك

وقبل ان يصل الرئيس الجديد الى المدرسة حضر اليها الاخ مارون سابا الذي هو اليوم سيادة الارشيمندريت يوسف سابا المدبر الرابع وكان قد أتمَّ دروسهُ بنجاح تام في المدرسة الصلاحية فتعين معلماً في مدرستنا للفرنساوي وباقي العلوم ولبث يعلم فيها الى ان نذر نذوره الرهبانية وارتسم شماساً وكاهناً وهو من الاشخاص الممتازين في تاريخ الرهبانية بحسن الخدمة لها بكل نشاط وثبات واخلاص

وفي الشهر ذاته عاد الى دير المخلص الاخ بشارة الحجار ودخل الى المدرسة وتعين استاذاً للعربية في الصفوف العالية فيها واذ صار بعد ذلك مديراً للدروس فيها أدخل في صفوفها علمَ التاريخ والخطابة ولبث يعلم الصفوف العالية الى ان تسلم زمام ابرشية عكَّا سنة ١٩٠٠ وكذلك أُعيد اليها تعميم درس اليونانية وأُحضر لذلك وللبسلتيكا المعلم نقولا القبرصي

وكان قد أُتي من دير السيدة بفوج كان من افراده الاخوة بطرس صوفيًّا وغريغوريوس ابو سمرا وانطونيوس الخواجا ومخائيل الجمال واسطفان ابو خليل وبطرس يواكيم ومخائيل ناهض وانضمَّ اليهم بشارة شلهوب وزخريا شحادة كما تقدمت الاشارة الى ذلك

ولمَّا ارتسم الخوري اثناسيوس صبَّاغ مطراناً على عكَّا في نيسان سنة

١٨٩٤ تعين الخوري سليمان نائباً للرئاسة العامة الى ان انعقد المجمع الرهباني في اول ايلول سنة ١٨٩٥ فانتخب رئيساً عاماً وأبقى ادارة المدرسة في يده وجعل له فيها وكيلًا الى ان تعين رئيساً لها سنة ١٨٩٥ الخوري بطرس خرياطي رئيس المدرسة الاسقفية في صور

وقبل دخول الرئيس الجديد أُتي بفوج من المبتدئين في ١٥ ايلول كان فيهم الاخ اغابيوس نعوم الذي هو اليوم سيادة الاب العام ومعه الاخ ملاتيوس الخوري واثناسيوس اشعيا وبوليكربوس وردة وباسيليوس الهبر وبولس صهيون وفيلبوس قسيس ومخائيل جمّال ويوسف قندلفت وفلابيانوس زهّار وغيرهم واذ كان الاخيران قد اكتسبا ونالا في مدرسة صيدا شيئاً من علم الصرف والنحو واصول اللغة الفرنساوية لحقا بالفوج السابق وتالف من الاخ مخائيل جمّال وسرحال واسطفان ابي خليل وغيرهم صف متوسط

وفي سنة ١٨٩٦ قامت فتنة في المزرعة بجوار الدير بين بيت الخرياطي وجيرانهم اتهم رئيس المدرسة بالدخول فيها فكان هذا داعياً لابعاده الى الاسكندرية ظلماً وتعين مكانه الخوري جبرائيل نبعة . وكان رحمه الله على ما يعرفه كثيرون مشهوراً برصانته وتقواه وسعة مداركه وثباته في مباديه ولا يأنف من الاستعانة بذوي العلم والخبرة ولذلك سارت المدرسة بعنايته وحسن ادارته وتكاتف اعوانه شوطاً كبيراً في سبيل التقدم والنجاح . ولحسن رايه وحبه لخير الرهبانية العام صار الرؤساء العامون يستشيرونه في امور الرهبانية كانه واحد منهم وفوض اليه الخوري يوسف القبرصي المدبر الثاني الذي كان مرشداً للراهبات ان يكون وكيلًا عنه في كل اجتماع . وفي سنة ١٨٩٦ دخل في رهبانيتنا النذر الصغير لاربع سنوات قبل ابراز النذر الكبير المؤبد

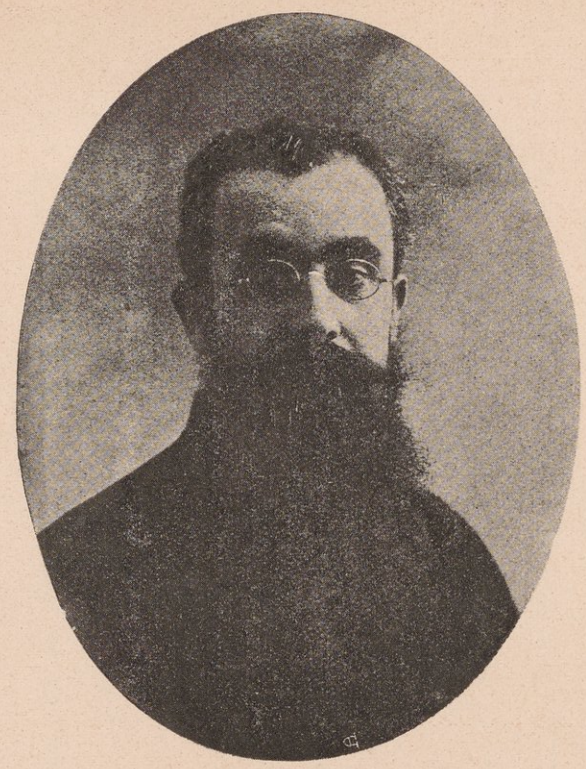

الخوري يوسف يواكيم (صفحة ٧٨)

الخوري اثناسيوس خرياطي (صفحة ٧٨)

واذ قلَّ اقبال الشبان الكبار على الرهبانية كالعادة القديمة لكثرة المهاجرة الى اميركا وغيرها ولكثرة مخالطة الشبان بالامم الغريبة وفساد اخلاقهم بهذا التمدن الكاذب القائم بحشد الاموال واطلاق الحرية بالاعمال التي لا تتفق مع العيشة الرهبانية اخذت الرهبانية تقبل في حضنها الشبان الصغار وتضعهم في مدرستها وتبذل عنايتها بحسن تربيتهم بالعلوم والاداب الرهبانية وبهذه الطريق اتسع لهم الزمان لاجل امتحان دعوتهم حتى لا تأتي زمان النذر الكبير إلاَّ صاروا كالذهب الابريز

ولهذا كثر عدد التلاميذ في المدرسة من الفتيان وصار ياتي اليها في كل سنة فوج وصار من العبث الاتيان على ذكر جميع الافواج والصفوف والافراد ولكثرتهم صارت ادارة المدرسة والاهتمام بما يلزم لها من معلمين ومناظرين صالحين من اهم شواغل الرهبانية وما تقتضيه من النفقة عليهم من معاش وكسوة وكتب وغيرها اضحى حملاً ثقيلاً على كاهلها وهي تقوم به وحدها إلاَّ ما يرد اليها من بعض اولادها متكلة على المخلص الذي منه كل نعمة وقوة وما غايتها بذلك الا تهذيب اولادها الرهبان ليكونوا خادمين صالحين له تعالى ولكنيسته المقدسة والطائفة العزيزة

وفي اول ايلول سنة ١٨٩٨ انعقد المجمع الرهباني العام وانتخب رئيساً عاماً الخوري مخائيل معلوف ومعه مدبرين الخوري اسطفان صقر والخوري اسطفان فرح والخوري سليمان داود والخوري يوسف مغيزل وبقي الخوري جبرائيل نبعة رئيساً للمدرسة سائراً بها سيراً مطرداً بالتقدم والنجاح .

واذ تأخر انعقاد المجمع الرهباني عن ميعاده في ايلول بامر البطريرك الجريجيري لتنازعه مع المطران باسيليوس حجّار على نفوذ امرهما في الرهبانية اصدر البابا لاون الثالث عشر مرسوماً بالغاء الزيارة الرسولية وان يعقد الرهبان

مجمعهم بموجب قانونهم وعوائدهم بدون ان يتداخل احد في ذلك لا البطريرك ولا المطران

ومن ثم اعتماداً على هذا المرسوم انعقد المجمع الرهباني في كانون الاول من ذوي الاصوات واتفقوا على انتخاب الخوري الياس حجار رئيساً عاماً لكن قبل مباشرة الانتخاب ورد تلغرافاً من وكيل الرهبانية في مصر ينعي اليهم وفاته في حلوان بمرض الفالج فاسف الجميع عليه وانتخبوا بدلاً منه الخوري انطون زيادة ومدبرين معه الخوري اسطفان صقر والخوري نعمة الله البرشا والخوري عبد الله بالش والخوري يوسف مغيزل وبقي الخوري جبرائيل نبعة رئيساً للمدرسة

وكان الرئيس العام رحمه الله حسن الاعتقاد بنعمة الدعوة وعناية الله ويحب الخير والتقدم للرهبانية ويرغب في نجاح المدرسة وما كاد ينتهي من قبول التهاني بالرئاسة حتى بلغه ان المرحوم الخوري الياس حجار ترك في صندوق وكالة مصر نحو الف ليرا ومن ثم حالا بالاتفاق مع الاباء المدبرين ورئيس المدرسة عزم على المباشرة باتمام بناء المدرسة واشهر اعلان المناقصة بين معلمي البناء بموجب الرسوم الهندسية التي عملها يوسف افندي افتيميوس وقبل ان تنتهي ايام مجمعه تم بناؤها ومنجورها

ومن اعماله في دير المخلص رحمه الله تشييد هذه القبة الباذخة فوق كنيسة الدير ووضع الاجراس الاربعة فيها وتجديد قصر داخل الكنيسة ودهانها

وسنة ١٩٠٣ اتى من صور الخوري يوسف الصابونجي وطلب الدخول في الرهبانية فقبل وتعين معلماً في المدرسة وبتفسيح من الحبر الاعظم نذر نذوره الرهبانية في نفس المدرسة في ٢٥ آذار سنة ١٩٠٤

الخوري جبرائيل نبعة ب . م (صفحة ٧٨)

الارشيمندريت بطرس ابو زيد ب ـ م (صفحة ٧٩)

ولما انعقد المجمع الرهباني العام في ايلول سنة ١٩٠٤ انتخب رئيساً عاماً الخوري اسطفان صقر ومدبرين الاباء بطرس خرياطي وغريغوريوس بندق وباسيليوس نخّاس وباسيليوس خوري وتعين حينئذ الخوري جبرائيل نبعة رئيساً ونائباً اسقفياً في عكا بدل الخوري باسيليوس نخّاس وجعل مكانه رئيساً للمدرسة الخوري يوسف صابونجي فسار بها على آثار خلفهِ وأخذ على نفسه تعليم الفلسفة والجبر والطبيعيات بالفرنساوية

ولما انعقد المجمع الرهباني في ايلول سنة ١٩٠٧ انتخب رئيساً عاماً الخوري جبرائيل نبعة ومدبرين الآباء بطرس خرياطي ونقولا الاشقر وباسيليوس شحادة ويوسف الصابونجي . وكنت حينئذ في طرابلس فقال لي المطران يوسف الدومانى حينما بشرني بنتيجة انتخاب هذا المجمع كلمة لا انساها ابداً قال رحمه الله : في كل حياة رهبانيتنا من اول تاريخها الى اليوم ما صار مثل هذا الانتخاب السعيد الموفق بجميع المنتخبين من حيث التقوى والغيرة وكمال التعقل والعلم وحسن الاتفاق بالمحبة .

***

اقف هنا ايها الاباء الاجلاء والاخوة الاعزآء عند هذا الحد من تاريخ مدرستنا العزيزة الزاهرة وقد طال كلامي معكم في محاضرتي حتى صرت اخشى عليكم من الملل لكن ما اطلت الكلام فيها إلاّ لكي اجعلها ختاماً في بيان احوالها الماضية التي منها تصلون الى معرفة احوالها الحاضرة اذ صارت اليوم كما تعلمون وكما ترون بفضل رؤسآء الرهبانية العامين والمدبرين وهمة رؤسائها الخصوصيين ومعلميها الغيورين بمنزلة عالية حتى اني اخشى السقوط والقصور اذا تجاوزت حدي السابق القديم الى احوالها الحاضرة فادع الكلام في هذا الى من هم اوسع علماً مني بذلك من معلميها الكثيرين

لكن لا بدَّ لي من كلمة اجمالية اقولها قبل ان اترك هذا المنبر تنويهاً بفضل من تولوا رئاستها ممن فاتنا ذكرهم فيما سبق . نذكرهم هنا بالترتيب التاريخي وهم سيادة الاب العام الحالي الارشيمندريت اغابيوس نعوم والاب العام السابق الارشيمندريت باسيليوس شحادة والعلامة اثناسيوس خرياطي مطران صيدا حالياً والخوري نقولا ابو هنا والعلامة أفتيميوس يواكيم مطران زحلة حالياً والخوري جبرائيل نبعة رئيسها الحالي الذي ورث اسم المرحوم عمه وعقله واخلاقه وحبه لهذا المدرسة

ولا يسوغ لنا اهمال ذكر من كانوا سبباً لتقدم العلوم الفلسفية واللاهوتية والرياضية واللغات اليونانية والفرنساوية واللاتينية فيها من اخوتنا الذين اتموا دروسهم العالية في مدارس رومية والصلاحية وعادوا الى تعليم هذه العلوم في مدرستنا بنشاط ونجاح حتى صار خريجو مدرستنا يستطيعون نيل قصب السبق في هذه العلوم وأخذ الشهادة العلمية الاولى فيها (الدكتورا) بمجرد تقدمهم للامتحان فيها في كليات رومية

وممن فاتنا ذكرهم من خريجي مدارس رومية الذين علموا في مدرستنا سابقاً حضرة الاب الغيور الخوري مخائيل زيدان وقدس الارشيمندريت نقولا سابا ونرى منهم اليوم حضرة الخوري نقولا البرخش استاذ الفلسفة واللاهوت واليوناني والخوري مخائيل الهبر استاذ الكتاب المقدس واللاتيني . ومن خريجي المدرسة الصلاحية قدس الارشيمندريت جورج خوري والآباء يوسف الزهار ونقولا زينية ونرى اليوم حضرة الخوري اثناسيوس النقيري اول استاذ الموسيقا الالية فيها .

ولا ينبغي ان نهمل ذكر من نبغوا بعلم البسلتيكا وأنجبوا في تعليمه فيها لتلاميذ كثيرين وجملوا خورس كنيسة المدرسة حتى صار زينة كنائسنا

تلامذة المدرسة مع رئيسهم واساتذتهم سنة ١٩٢٨

والفضل بهذا النجاح وهذا التجديد يعود الى قدس الارشيمندريت الكسيوس الشتوي ورفاقه في صفه ومن خلفه بتعليم هذا العلم الشائق المطرب الذي يعد في طقسنا اليوناني من الزم العلوم الكنسية

واذا كان لا يسعنا ان نذكر جميع الذين نبغوا من خريجي هذه المدرسة وانجبوا بالتعليم فيها لكثرتهم يجب ان نقول ان الرهبانية لعنايتها بتقدم هذه المدرسة كانت ولا تزال الى اليوم تختار الانجب والافضل من تلاميذها ليكون معلماً وراعياً صالحاً لاولادها وكذلك اذا كان لا يسعنا ذكر جميع الذين تفضلوا بمساعدتهم الادبية والمالية لانشآء وتجهيز هذه المدرسة فلا يسوغ لنا اهمال ذكر المرحوم الارشيمندريت باسيليوس النحّاس الذي كان دائماً من اكرم تلاميذها وله في كنيستها تذكارات كثيرة وكان اول المبادرين الى مساعدتها بعد الحرب العامة فانه أرسل باسمها الف دولار ثمن كسوة لمعلميها وتلاميذها علاوة على ما أرسله لمساعدة الرهبانية حينئذ رحمه الله .

ومن الذين يجب علينا ذكرهم وشكرهم هنا لفضلهم ومواصلة مساعدتهم للام الرهبانية ولهذه المدرسة قدس الارشيمندريت بطرس ابو زيد الذي من جميل مآثره الكريمة آلة طابعة كبيرة وآلة صغيرة تدار بالرجل مع جميع لوازمها وبها طبعت هذه المحاضرات لتنشر فضله بين الاخوان وتذكرهم بماضي حياتهم بجوار المخلص وقد ارسل ايضاً آلة كبيرة لخياطة الكتب كثر الله من امثاله .

ونرجو ان يكون مع قدس الارشيمندريت سمعان نصر والخوري اغناطيوس جبارة قدوة صالحة لغيرهم من اخواننا الذين ابتعدوا عنا في اميركا ونسوا الواجب عليهم عدلاً وذمة وديناً نحو المخلص الذي تربوا في نعمته ونحن نسأله في الختام ان يذكرنا جميعاً في ملكوته السماوي .

الى مؤرخنا البحّاثة المدقق

الخوري قسطنطين الباشا وقد ألقى محاضرة في تاريخ

مدرستنا المخلصية

صباح الاحد في ٣٠ ايار سنة ١٩٢٨

محاضرةٌ شهدناها فكانت ... كنبعٍ فائضٍ يروي العطاشاَ

وقد سقت الاوائل في ثراهم ... فكانت في عظامهمِ أنتعاشاَ

فكلٌّ منهمُ والعهد قاصٍ ... نراه كان ميتاً ثم عاشاَ

بقسطنطين يفتخر الأَوالي ... ومِن فخرٍ به لسنا نُحاشى

لئن كان السمي له مليكاً ... عظيماً ثابتاً جاهاً وجاشاَ

فهذي دولة التاريخ أَبدت ... مفاخرها بقسطنطين باشاَ

سنة ١٩٢٨

الخوري

نقولا ابو هنا

ب - م

وقع في هذه المحاضرات بعض اغـلاط مطبعية فاتنا اصلاحها عند الطبع لا تخفى على القارئ النجيب اهمها ما يأتي في هذا الجدول :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١	١٦	هادياً	هادٍ
	١٧	داعياً	داعٍ
٦	٩	ان يلتصق	يلتصق
١٣	٢٢	٧٢ نيسان	٢٧ نيسان
١٧	١٨	فقد طبعا	طبعا
٢١	١٧	تم	تام
٢٦	٩	المطران اغناطيوس معقد	المطران جرمانوس معقد
٤٥	٢٠	واستقامة	واستقامته
٤٦	٩	تبديلاً	تبديلاً للهوآء
٤٧	٣	الحصين	الحصين للنصرانية والطائفة
٤٧	١٠	فتعين حينئذ	فتعين حينئذ اسطفان
٥٥	٣	لكن بعدما	وبعدما

[redacted]
الباشا ،قسطنطين
اربع محاضرات في تاريخ مدرسة الرهب
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01023408

[redacted]

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
LIBRARY